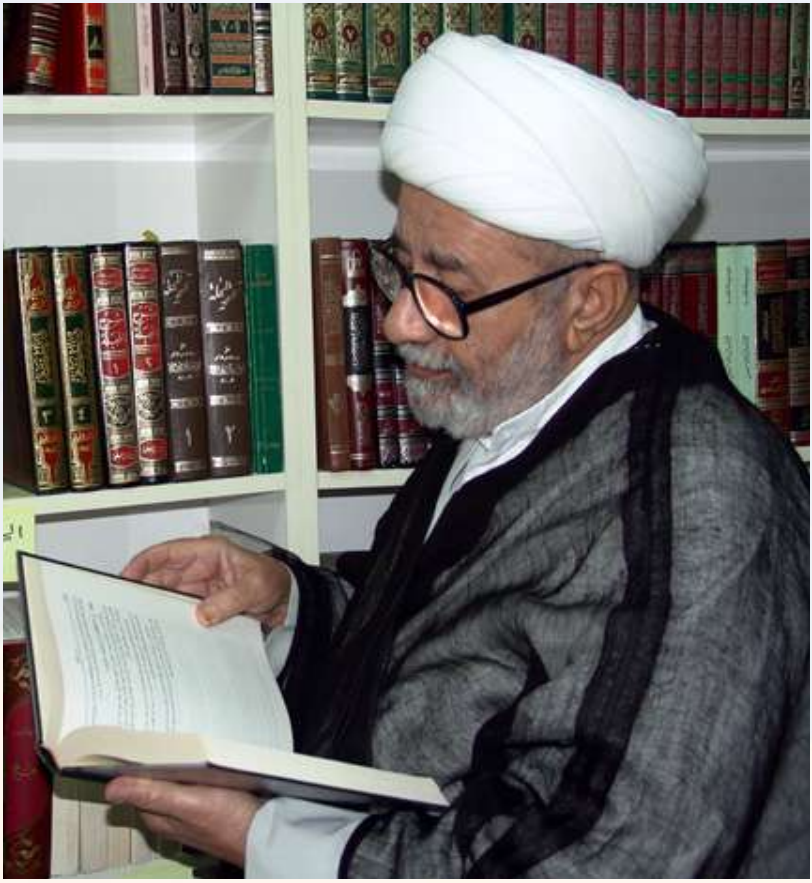

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفَضلي

رحمه الله

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
دار اللغة والأدب العربي

رقم الإيداع في دار الوثائق العراقية
٢١٠٧ لسنة ٢٠١٥

للتواصل
Website: www.alh.imamhussain.org
E-mail: siaraa@imamhussain.org
+٩٦٤٧٧٢١٤٥٨٠٠١ - +٩٦٤٧٨٢٧٢٣٦٨٦٤

اسم الإصدار	مجلة سيراء
جهة الإصدار	دار اللغة والأدب العربي
سنة الطبع	1446هـ - 2024م
الطبعة	الأولى
المطبعة	مطبعة دار الوارث للطباعة والنشر العراق - كربلاء
العدد	الحادي عشر
عدد النسخ	٥٠٠ نسخة

اضاءة عنوانية

"السِّيَرَاءُ" بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِ الْيَاءِ وَالْمَدِّ (في لغة العرب الأوائل) نَوْعٌ مِنَ الثياب الذي يُخالِطه الحَرير أو الذَّهبُ الصافي الخالصُ أو القشرةُ اللازِقَةُ بالنواةِ أو الجَرِيدَةُ من جَرَائِد النَّخْل، ومجلتنا الغرّاء جمعَتْ هذه المعاني كلَّها ووِسِمَتْ بها؛ فهي حُلَّةٌ مطرّزةٌ بالذهب لما توثّقُه من سِيرة أعلام اللغة العربية وتسجّلُه من آثارهم العلمية، تلك السيرة الخالصة لخدمة لغتنا الخالدة لغة القرآن الكريم، وهي كذلك نَخْلةٌ باسقةٌ يرفلُ بفيئها طُلّاب المعرفة لما يجنون من ثمارها الدانية ويقطفون من أسرارها العالية.

المشرف العام

سماحة المتولي الشرعي
الشيخ عبد المهدي الكربلائيّ

رئيس التحرير

أ.د. مكي نَومان مظلوم

مدير التحرير

أ.م.د. حسن كاظم الزهيري

هيأة التحرير

أ.د. علي جاسب عبد الله حيدر
أ.د. علي حلو حواس جبار
م.د. أكسم احمد فياض

التصميم والاخراج

حيدر أزهر الفتلاوي

المحتويات

الافتتاحية.....٨

هيأة التحرير

في ذكرى أبي العاشرة ١٠

جواد الفضلي

العلَّامة الفضلي .. عطاء علميّ دائم ١٦

السيِّد سلمان هادي آل طعمة

ملامح التيسير النحويّ ومظاهره ٢٢

أ.د هادي نهر

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضليّ

« ١٣٥٤ هـ ١٤٣٢ » وجهوده الصّرفيّة ٣٦

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد عليّ الضّايف

تذكرة الشيخ الفضلي في علوم العربية (المنهج وممكناته) ٤٨

أ. د. رحمن غركان

الدكتور عبد الهادي الفضلي وجهوده في تحقيق المخطوطات.....٦٦

أ.د محمد نوري الموسوي

(العلَّامة الفضلي شاعراً-رباعية الانتظار نموذجاً).....٧٢

حسين خليفة

التصوير الاستعاري

في شعر الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (طيّب الله ثراه).....٧٨

م.م. ذرى علاء الفضلي

المَنْهجُ التّرْبَوي فِي فِكْرِ العَلامَة الفَضْليّ ٨٨
أ .م .د عادل السيِّد حسن سليمان الحسين
النجف الأشرف حضور في دلالات أَربع عند العلَّامةالفضلي
(١٣٥٤ـ١٤٣٤هـ/١٩٣٥ـ٢٠١٣م) ١٠٠
السيد حسن كاظم الخليفة
البُلدانيَّة المُغايرة قراءة في كتاب (دليل النجف الأَشرف) للعلَّامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (١٣٥٤ـ١٤٣٤هـ/١٩٣٥ـ٢٠١٣م) ١٢٨
السيد حسن كاظم الخليفة
شذرات من مجالس العلَّامة الفضلي
(بين الشطح الفلسفي واجتهاد التراجيح) ١٣٢
السيد حسين الموسوي
الدكتور عبد الهادي الفضليّ مُفهرسًا ١٣٨
أ.د مكي نومان مظلوم
عبد الهادي الفضلي الطائي (١٣٥٢هـ - ١٤٣٤هـ ، ١٩٣٥م - ٢٠١٣م).
ثبت دراساته المستقلة وبحوث المجلات والنصوص المحققة ١٤٦
الأستاذ حسن عريبي محمد علي الخالدي
جلال الذِّكرى في تأبين العلاقة الشيخ عبد الهادي الفضلي ١٥٨
السيِّد سلمان هادي مهدي آل طعمة
الملحق الصوري ١٦٢

الافتتاحية

الحمدُ لله الذي جعلَ الحمدَ فاتحة كتابه ، وآخرَ دَعوى أوليائه؛ إذ قال في محكم تنزيله: {وَءاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (يونس:١٠)، والصلاة والسلام على نبيّنا المصطفى ، وعلى آل بيته الطاهرين أجمعين؛ وبعدُ فهذا عددٌ جديد من مجلة (سيراء) التي أصبحت معروفةً بين المجلّات الثقافية والمعرفية في العراق، وتستند هذه المعرفة الراسخة إلى النجاح الاكيد الذي باتت تحرزه بتوالي أعدادها الرصينة، فضلًا عن التوفيق في حسن اختيار المحدثين من الاعلام البارزين في اللغة العربية، وذلك لتوثيق جهودهم، وإبراز سِيَرِهم العلمية، ودراسة مؤلّفاتهم، وإظهار ماعُرِفوا به في دراسة اللغة العربية والادب العربي، وسيؤول صنيعنا هذا مع هؤلاء الأعلام إلى مصدر مهم في دراسات المعاصرين الموسّعة لجهودهم.

واستكمالاً لمسيرة النجاح المذكور ، فقد اختصَّ هذا العدد الجديد بالعلّامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضليّ _رحمه اللّه تعالى_ الُمميّز بعطائه المعرفيّ المدهش والمنوّع، وهو مثال مُميّز ورصين على مَن جمع بين العلوم الحوزوية والاكاديمية، وقد أجمع المعنيّون بتعقّب سيرته العلمية ودراسة جهوده المعرفية على نجاحه وتفوقه ومهارته الفائقة في تنويع مؤلّفاته، وهي صدى لتنوع انشغالاته

الفكرية، فكتب في منهج البحث، وأصول تحقيق التراث، وعلوم القرآن والحديث النبويّ، والمعارف العقلية، وعلم الفقه وأصوله، وعلوم اللغة العربية، والفهرسة، والفكر السياسي، وحقّق عدداً من المخطوطات، فضلا عن كونه شاعرا، له ديوان مطبوع.

إنّ هذا التنوّع والثراء الذي وَسَمَ شخصَ الفضليّ، وعلمَه، ومعرفَته، وتأثيرَه الايجابي في الحركة العلمية، هو المسوّغُ المقبول لاختياره موضوعًا جديدًا لمجلتنا.

هيأة التحرير

في ذكرى أبي العاشرة

جواد الفضلي / السعودية - الإحساء

الحمدُ للهِ وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

يَا مُلهِمَ الجِيلِ فِي عِلمٍ وفِي عَمَلِ
عُذرا إذَا مَا نَحَا شِعْرِي إلَى الزَلَلِ
مِنْ أَيْنَ أَسْتَلْهِمُ الذِّكرَ العَظِيمَ وقَدْ
شعّت معالمه في السَّهْلِ والجَبَلِ
مِنْ مَوْجَزِ الصّرْفِ أمْ مِن زُبْدَةِ الكُتُبِ
حَيْثُ الخُلاصات فِيهَا مَنْهَجُ الرّسُلِ
قد كان زادك فكراً لا مثيلَ لهُ
وهو الرَّجاء لِمَن أعيَتْ به السُّبل
مَا أَعْظَمَ المَجْدَ أن نُحيي لَنَا عَلَماً
مَجْدًا علا فِي الأَحساء وَالمِلَلِ

النشأة والدِّراسة والتدريس:

وُلِد سماحة سيدي الوالد (قدس) في السادس من ديسمبر ١٩٣٥م من أبٍ سعوديّ وأمّ عراقيّة في مدينة البصرة، ونشأ وتعلَّم في كتاتيبها ومدارسها، ثم انتقل للدراسة الدِّينية بالنَّجف الأشرف، مجتازاً المراحل الثَّلاث: المقدمات والسُّطوح ودرس الخارج، وفي الوقت نفسه كان أستاذاً في متوسطة وثانوية منتدى النشر، وأصبح بعد تخرجه معيداً في كلية الفقه بعد تخرجه منها، ليسهم مع أساتذة الكلية في دعم مسيرة النهضة العلمية النجفية الحديثة، وفي هذه الفترة حصل على شهادة الماجستير من جامعة بغداد.

وكان (قدس) مِن أوائل طلبة العلوم الدينيَّة الذين انضمُّوا إلى حزب الدَّعوة الإسلاميّ، وفي فترة قصيرة أصبح من أبرز قادته ومنظريه.

وغادر (قدس) النجف الأشرف عام ١٩٧١م سرًّا بسبب الظرف السياسيّ الصّعب الذي مرَّ بالعراق بعد هيمنة النظام البعثيّ البائد، متوجهًا نحو الكويت، ومنها إلى مدينة جدّة، إذ عمل مدرسًا لمادة النحو العربيّ في جامعة الملك عبد العزيز، وبعد سنتين من التدريس ابتعث من قبل الجامعة إلى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة التي حصل منها على شهادة الدكتوراه.

وعند عودته عام ١٩٧٦م أسَّسَ أوّل قسم للغة العربيّة في كلية الآداب، وصار أوّل رئيس له، وعضوًا مؤسسًا دائمًا في لجنة المخطوطات بالجامعة نفسها، وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعة وجامعة أُمّ القرى وكليّة البنات، وبقي مدرسًا في الجامعة حتى تقاعده في عام ١٩٨٨م.

وبعد تقاعده التحق بالجامعة العالميَّة للعلوم الإسلامية في لندن بناءًا على طلب من مؤسسها، وشارك في وضع الخطّة العامّة للجامعة، وخمسة من مقرراتها الدراسية - أصول البحث، ومذكرة المنطق، وتاريخ التشريع الإسلامي، وأصول علم الحديث، وأصول علم الرِّجال - وليس هذا وحسب، بل قام بتدريس هذه المقرَّرات بالإضافة إلى الإشراف على بعض طلبة الماجستير والدكتوراة.

التراث الفكري:

تميّز العلّامة الفضلي بمشروعه التجديديّ المتمثّل بإعادة كتابة مقرَّرات الدَّرس الحوزوي بمنهجيته التي عُرف بها، وبلغة ميسرة، وأسلوب تربويٍّ حديث يتناسب مع لغة ومتطبات العصر، كما أدخل غير مادة دراسيَّة للحوزة.

وأود أنْ أشير - هنا - إلى أنَّنا في لجنة مؤلّفات العلّامة الفضلي قد قمنا بتوفيق من الله عزّ وجلّ بجمع تراث سماحة سيدي الوالد (قدس) في موسوعة أسميتها: (موسوعة العلّامة الفضلي)

ضمّت الموسوعة ثمانية وأربعين مجلدًا، خصَّصنا الأوّل منها لسيرة العلّامة الفضليّ الشخصيَّة والعلميَّة، والمجلد الأخير لكشكول العلّامة الفضلي، أمّا بقية مجلدات الموسوعة فهي موزعة على قسمين، خصَّصنا القسم الأوَّل والمكوَّن من المجموعات الست الأولى للكتب الدراسيّة، والمجموعات الست الأخرى للكتب غير الدراسيَّة، فجاءت مجموعات الموسوعة على النحو التالي:

المجموعة الأولى: (مجموعة علوم القرآن والحديث)، وضمت الكتب التالية: (الموجز في التجويد، ويليه القراءات القرآنية)، و(أصول الحديث)، و(أصول علم الرِّجال).

المجموعة الثانية: (مجموعة العلوم العقليَّة)، وضمَّت الكتب التالية: (التربيَّة الدينيَّة وخلاصة الحكمة الإلهيَّة)، و(خلاصة علم الكلام)، و(خلاصة المنطق).

المجموعة الثالثة: (مجموعة أصول الفقه)، وضمت الكتب التالية: (مبادئ أصول الفقه، ويليه الوسيط في فهم قواعد النصوص)، و (دروس في أصول فقه الإمامية) بجزأيه الأوَّل والثاني.

المجموعة الرابعة: (مجموعة علم الفقه)، وضمَّت الكتب التالية: (مبادئ علم الفقه) بأجزائه الثلاثة. و(تاريخ التشريع الإسلاميّ)، و(دروس في فقه الإماميَّة) بأجزائه الخمسة.

المجموعة الخامسة: (مجموعة علوم اللغة العربيَّة)، وضمت الكتب التالية: (مختصر النحو) ، و(مختصر الصرف)، و(تلخيص البلاغة، ويليه تلخيص العروض).

المجموعة السادسة: (مجموعة أصول التحقيق والبحث)، وضمَّت الكتب التالية: (أصول تحقيق التراث)، و(أصول البحث).

المجموعة السابعة: (مجموعة الدِّراسات النحويَّة)، وضمَّت الكتب التالية: (قراءة ابن كثير وأثرها في الدِّراسات النحويَّة) بجزأيه الأوَّل والثاني، و(أسماء الأفعال والأصوات)، و(دراسات في الإعراب ويليه دراسات في الفعل)، و(مراكز الدِّراسات النحويَّة، ويليه فهرست الكتب النحويَّة)، و(الوسيط النحويّ).

المجموعة الثامنة: (مجموعة الدِّراسات الإسلاميَّة)، وضمَّت الكتب التالية: (في انتظار الإمام)، و(مذهب الإماميَّة)، و(مشكلة الفقر)، و(الدَّولة الإسلاميَّة)، و(التقليد والاجتهاد)، (بحوث فقهيَّة معاصرة).

المجموعة التاسعة: (مجموعة الدِّراسات التاريخيَّة)، وضمَّت الكتب التالية: (دليل النجف ويليه غدير خم والربذة)، و(في ذكرى أبي)، (نخلة الولاء (الأحساء).

المجموعة العاشرة: (مجموعة التحقيقات)، وضمَّت الكتب التالية: (رسائل في النحو واللغة والفقه)، و هداية الناسكين).

المجموعة الحادية عشرة: (مجموعة القراءات والرؤى)، وضمَّت الكتب التالية: (أهل البيت)، و(قراءات في التراث الإسلامي)، و(رأي في السياسة)، و(رسائل في الحوزة)، و(هكذا قرأتهم).

المجموعة الثانية عشرة: (مجموعة المقالات والتقديمات والحوارات والديوان)، وضمَّت الكتب التالية: (مقدَّمات العلَّامة الفضلي)، و(قضايا وآراء في اللغة والأدب)، و(حوارات العلامة الفضلي ويليه إجازات الرِّواية) و(ديوان العلَّامة الفضلي).

ما بعد الرحيل:

ما إنْ رحل العلّامة الفضلي (قدّس سرّه) إلى الرَّفيق الأعلى حتّى بدأت الجامعات العراقيَّة تتسابق في حثِّ طلبتها في الدِّراسات العُليا على كتابة رسائلهم العلمية في فكر العلّامة الفضلي المتنوِّع، ومن الطلبة الذين كان لي الشرف في رفدهم بما يحتاجون من مصادر تخصّ فكر سماحة الوالد (قدس سرّه)، الطلبة التالية أسماؤهم:

١- الأستاذة سناء الخزاعي، من جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، وعنوان رسالتها: (الشيخ عبد الهادي الفضلي دراسة في طروحاته الفكريَّة) ٢٠١٣ م. رسالة ماجستير.

٢- الأستاذ مجيد صابر من جامعة بغداد، وعنوان رسالته: (جهود العلَّامة الفضلي في علم الحديث. دراسة في المنهج)، ٢٠١٧ م، رسالة ماجستير.

٣- الأستاذ ماجد مريح من كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة في بغداد، وعنوان رسالته: (الأبعاد التداوليّة في أصول فقه الإماميَّة، عبد الهادي الفضلي أنموذج) ، ٢٠١٧ م. رسالة ماجستير.

٤- الأستاذ جلال الربيعيّ من جامعة واسط، وعنوان رسالته: (العلَّامة الفضلي وجهوده اللغويّة)، ٢٠١٧ م. رسالة ماجستير.

٥- العميد خيون رشيد موسى من كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلاميَّة الجامعة في بغداد، وعنوان رسالته: (الشيخ عبد الهادي الفضلي وجهوده في القراءات القرآنيَّة)، ٢٠١٧ م، رسالة ماجستير.

٦- الأستاذة زهراء علي جاسم، من قسم علوم القرآن في كليّة التربيّة، بالجامعة المستنصرية في بغداد، وعنوان رسالتها: (جهود الشيخ عبد الهادي الفضلي في تدوين أصول الفقه)، ٢٠١٧ م. رسالة ماجستير.

٧- الأستاذ اسماعيل شبوط، من كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلاميَّة الجامعة في بغداد، وعنوان رسالته: (تجديد الفكر الإسلاميّ عند العلَّامة عبد الهادي الفضلي)، ٢٠١٩ م، رسالة ماجستير.

٨- الأستاذ كرار الكعبي، ، من جامعة الكوفة، كليّة الآداب، وعنوان رسالته: (الدكتور عبد الهادي الفضلي وجهوده النحويّة)، ٢٠٢٠ م، رسالة ماجستير.

٩- الأستاذة سناء اللعيبي، من الجامعة

المستنصرية، كلية التربية، وعنوان رسالتها: (منهج الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتابه دروس في فقه الإماميَّة)، ٢٠٢٢م، رسالة ماجستير.

١٠- الأستاذة ذرى علاء الفضلي، من جامعة الكوفة، كلية الآداب، وعنوان رسالتها: (شعر الشيخ عبد الهادي الفضلي - دراسة بلاغيَّة)، ٢٠٢٣م، رسالة ماجستير.

وغيرهم ممن لا زالوا يعدون رسائلهم.

وقد صدرت العديد من الدِّراسات والأبحاث في فكر العلّامة الفضلي خلال هذه الفترة، وتمَّت ترجمة العديد من مؤلفاته الدراسيَّة، وغير الدراسية إلى اللغات العالميّة المختلفة في هذه الفترة أيضًا.

العلَّامة الفضلي .. عطاء علميّ دائم

السيِّد سلمان هادي آل طعمة / كربلاء - العراق

ترجع معرفتي بالشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي في النجف الأشرف مدينة العلم والأدب إلى أيَّام دراسته الحوزويَّة في ستينيات القرن الماضي، فقد عرفته شاباً في ربيع العمر ينبئ عن قدرة كبيرة ويتطلع إلى أمجاد سامية، هو شخصية جذَّابة لا يملُّ المرء من الاستماع إليه . كان قويَّ الشخصية، متديِّناً يأتي لزيارة الأئمة الأطهار في كلِّ مناسبة دينيَّة، يحدثك فتأنس بأحاديثه، وتستطيب بنوادره وحكاياته، وإنَّ من حق العلم علينا أن نجلو بالإيجاز الممكن في صفحات هذا العبقري الفذ من التعريف بجهوده العلميَّة والأدبيَّة. ومرت سنوات عديدة على صحبتنا حتى التقيتُ العلَّامة الفضلي ثانية في أواسط السبعينيات في القاهرة في مجلس عقد بذكرى الإمام الحسين (عليه السَّلام) في عاشوراء التي أقامها العلَّامة السيد طالب الرِّفاعي في منزله بشارع نوال، كان يستقبل زواره المثقفين من الرجال والنساء بكلِّ رحابة صدر، ومن جميع الشرائح والطبقات الاجتماعية، وفي كل مشروع يدخل الصالح العام للمجتمع الإسلامي، في ذلك المجلس كان لي لقاء بالصديق الكريم الذي أحمل إجلالاً كبيراً لشخصه، لذلك صرت أحبُّ كلَّ ما يمت بصلة له علماً ومكاناً من هذا النمط ولا يغيب عن نظرنا أنَّ الشيخ الفضلي يحاول أن يمهد لك السبيل حين يطرح المبحث أمامك، فتكون لديك وسائل ومقدمات لفهم المادة المطروحة في البحث

كان الشيخ الفضلي ناجحاً في فنّه الخطابي، واضحاً في دعوته الإسلاميَّة الإصلاحيَّة كما هو معروف - لدى جميع من عرفه عن كثب - وقلمه بارع، فالمجتهد وطالب العلم المبتدئ والمثقف كلّ أولئك يقرؤون له، ومحاضراته وعطاءاته المختلفة جيِّدة وليس في ذلك خلاف، والمحاضر الجيِّد هو الذي ينزل إلى مستوى الجماهير، لذلك نرى الشيخ الفضلي مستوعباً للعلم من خلال وعيه الثقافي الذي يمتلكه، وتلك هي صفة ينماز بها من غيره، وقد أكسبته المكانة الرفيعة اللائقة باعتباره شخصيَّة منفتحة على جوانب الحياة المختلفة.

بذل جهده للكتابة فكان قادراً على إيصال المادة المطلوبة إلى ذهن

القارئ بيسر وسهولة ، ومن مؤلفاته القيِّمة:

مؤلفات المرحلة النجفيَّة:

١- خلاصة المنطق

٢- مبادئ اصول الفقه

٣- نحو أدب إسلاميّ

٤- مشكلة الفقر

٥- الدِّين في اللغة والقرآن.

ومنها مؤلفات المرحلة الجامعيَّة:

١- دراسات في الفعل

٢- الدولة الأسلاميَّة

٣- في علم العروض نقد واقتراح .

٤- تحقيق: الناسخ والمنسوخ وغيرها.

إنَّ إحصاء الكتب والدِّراسات والبحوث التي قدّمها ونشرها بحاجة إلى مسح ميداني دقيق، فما كان من عادته أن يؤرشف ما يكتب وما ينجز، يبحث في كتاباته المسائل الفقهيَّة والعلميَّة والمشاكل الاجتماعيَّة والسياسة، وقد صدرت عنه كتب بأقلام الأدباء من كتاب عرفوا فضله، وحري بنا أن نقول: إنَّ كتبه التي أصدرها هي من الكتب القيِّمة النافعة لها أهمية عظيمة وفوائد جليلة، يتجلى ذلك في علو أسانيدها، وأود أن يعلم القارئ أنَّ الأستاذ الفضلي لا يبغي وجاهة، ويزهد بالمال والشهرة، فلم يحرق لها البخور أو يقدَّم طقوس الولاء أو يستجدي الإطراء، ونأى عنه صخب النقد المنافق، ولكن ذلك لم يحمله على ترتيب جديد لحياته.

عرفت الشيخ الفضلي إنساناً هادئاً وادعاً مفكراً، حلو الحديث حراً قوي الذاكرة، من أكثر الأدباء تفكيراً، يصوّر لنا الشيخ الفضلي في مؤلفاته أثر العلم الحديث في البلاد العربيَّة ورغبة الناس في الاهتداء به، مع رغبته في الوقت نفسه بالتوفيق بين العلم والدين، ما كان إلى ذلك سبيلا، وهو بعد هذا معتدل الرأي في سياسته، حرّ الضمير في أفكاره، جذَّاب في حديثه، لطيف في مجلسه، وكان أظهر مزاياه الظاهرة أنَّه جذَّاب كالمغناطيس، فلو أنَّ رجلاً جلس معه ساعة لعاد إليه ملتمساً وجوه القول في الثناء عليه. بذل الشيخ الفضلي مهجته الكريمة في الذبّ عن حياض الشريعة المقدسة الإسلاميَّة، ونشر مجد الإسلام وإذاعة خصائصه النبيلة.

إنَّ الإشادة بدور العلماء

وتكريم شخصياتهم تصبّ في خدمة الحقّ والحقيقة، خاصة علماء الدين كونهم قدوة وقادة، وأنَّهم ورثة الأنبياء الذين تناط بهم مكافحة الفساد والانحراف ومقارعة الباطل وتحقيق العلم والفضيلة ونشرهما.

تابعت الدكتور الفضلي في عدد من حواراته الفكريَّة والأدبيَّة، فأعجبت بأسلوبه، وكنت كثيراً ما أتساءل عن الرابط الذي يربط بين هذا الرجل والأدب القديم من جهة، وبينه وبين الحداثة من جهة أخرى.

ويمكنني القول: إنَّ الشيخ الفضلي اسم لامع، وأحد الرموز الكبيرة،أيَّدَ المفهوم الشرقي للثقافة الإسلاميَّة في مواجهة الثقافة الغربيّة المعاصرة، وهذه الوظيفة التي نهض بها كانت أكثر فائدة لصدِّ نهج الاستعمار الغربي وفكره وأهدافه السياسيَّة والاجتماعيَّة من أيِّ فعاليَّة عسكريَّة استعملت في هذه المنطقة، لذا نجد أنَّ حظه من الثقافة الإسلاميَّة كان متزايداً يبشر بخير، فلم يبتعد عن المنظومة الإسلاميَّة والإنسانيَّة، ولم ينحرف عن تلك النبل والمثل التي نادت بها كتب السماء، والتي حاولت من خلالها السمو بالإنسان إلى العلا، واجتذابه من مهاوي الرذيلة والسقوط، كلّ ذلك دعاه إلى التطور بما لديه من استعداد للانتصار لنفسه قبل فوات الأوان، أو الاقتراب من مناهل السبل نحو البقاء للأصلح بمشروع يطل على مرضاة الله تعالى وهذه السبل هي بلا شك مشروعة للصادقين، قامت على أسس ومبادئ عامة تنبع من روح القرآن الكريم، ومن بعض آياته الكريمة التي تنصُّ على إقامة العدل كآيات الحكم والحدود، وعلى رعاية المجتمع الإسلامي وحمايته كالآيات التي تخصُّ الزكاة والجهاد.

وتهدف كتاباته إلى تزويد القارئ بمادة غزيرة ونافعة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة، كذلك ربطه بأحدث التيارات الفكريَّة والثقافيَّة المعاصرة. وكان له الفضل في تنبيه الأذهان والذاكرة في الشؤون الأدبيَّة، فقد رزق بذاكرة قوية لا تنسى، ويكفي أن يوجه إليه أي إنسان سؤالاً في موضوع علميّ وأدبيّ يخطر على باله حتى يفيض بما عنده من معلومات طريفة وذكريات حيّة هي نتيجة

دراسات عميقة لعلوم العربيَّة والفقه والأصول.

رحم الله العلَّامة الشيخ عبد الهادي الفضلي لما قدمه وأسداه، وجعله في ميزان حسناته، وجزاه خير جزاء المحسنين، وحفظ أولاده ومحبيه وعارفي فضله من العلماء والأدباء والمثقفين والناس عامة.

وفي ذات يوم تداخلني من الفرح والسرور، فأحببت أن أكتب أبياتاً أهديها إلى سماحته وهي:

يرفُّ اليكَ القلبُ شوقاً و يَطرِبُ
وكلُّ سميرٍ للكواكبِ يرقبُ
علوتَ السُها[١] مذ قمتَ للشرعِ هادياً
تحنُ إلى التقوى وتدعو وتخطبُ
كريمُ المحيّا يحضن الليلُ بدرَهُ
و يسمو به للمجدِ بيتٌ مطنَّبُ
سلمتَ لأهلِ العلمِ درعاً محصّناً
وأنتَ لهم ذاكَ الفقيهُ المهذبُ
مآثرُكَ الغرّاءُ في كلِّ حلبَةٍ تفيدُ
الورى ما شَعَّ في الليلِ كوكبُ
فلا عَجَبٌ ان زادكَ اللهُ بسطةً
وأنت لكل الناسِ إرثٌ ومكسَبُ
تفوقُ الورى بالعلمِ والحلمِ والندى
وصدرُكَ روضٌ للمعارفِ مُخصبُ
لديكَ يطيبُ القولُ يا مَن أجلّهُ
وكلُّ كلامٍ منكَ يحلو ويعذبُ
ومثلكَ من خاضَ المسامع ذكرهُ
ومن قادَ أرباب الحجا لا يخيّبُ
وأيامُك الغُرُ المحجلة[٢] التي
إلى اللهِ في نيلِ العُلى تتقرّبُ
خلا لكَ درسٌ بين قومٍ أعزةٍ
وسفركَ في كلّ المحافلِ يُطلبُ
حباكَ إلهي عفّةً وأمانةً وحسكَ
ما قدّمته فهو أصوبُ
بكَ الدينُ أضحى مأمناً لمعاشرٍ
له شرفٌ في العالمينَ محبّبُ
نمتكَ إلى أوجِ العلى خيرُ دوحةٍ
وذو الحسبِ الوضّاح يُنمى وينسَبُ

وما زلتَ تعطي كلّ خيرٍ وحكمةٍ
هنيئاً لك العزّ الذي تستحقهُ

يُسرُّ به (الهادي) وفيكَ يرحّبُ
وأنتَ لهذا المجد أهلٌ ومطلبُ

وأنّكَ ذاكَ الألمعيُّ أبو الحجا
تطيبُ بكَ الأيام من كلّ وجهةٍ

محامدهُ في الناس تُملى وتُكتبُ
وفي كلّ أرض ذكر عليك يُطنبُ

وذو همّةٍ في العلمِ والفضلِ والنهى[٣]
سنينٌ عجافٌ فرّق الدهرُ بيننا

يظلّ مدى الأيام يسعى ويدأبُ
بها قد غدَت نارٌ بقلبي تلهَبُ

أديبٌ أريبٌ عالمٌ ذو كفاءةٍ
ولم أنسَ ليلاتٍ حسانٍ كأنها

لآل رسولِ الله يدعو ويُسهِبُ
شهابٌ علا أو وابلُ[٤] الغيثِ يُسكبُ

أخا الفضلِ يا تاجاً يحلّى به الورى
فحبّكَ فرضٌ في قلوبِ أحبةٍ

يلذّ لسمعي ذكرُهُ ويحبّبُ
كما أفترّ زهرُ الروضِ والروضُ مُخصبُ

فيا أيها الساعي لكلّ فضيلةٍ
٢٠ / ٢ / ٢٠٠٥م

كمن ظلّ في نعمائهِ يتقلّبُ

الهوامش:

١- السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى، والناس يمتحنون به أبصارهم.

٢- المحجلة: التجميل، كل علامة بارزة في وجه الفرس أو قوائمه

٣- النهى: العقل

٤- الوابل: المطر الكثيف

ملامح التيسير النحويّ ومظاهره

أ.د هادي نهر

(الشيخ عبد الهادي بن الشيخ مرزا بن الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله البصريّ الإحسائيّ النجفي المعروف بـ (الفضلي)، أحد فقهاء الأمَّة في العصر الحديث، ومن علماء الدِّين الأفذاذ، وهو أيضا أستاذ جامعيّ، وعلميته تتجلَّى في أنَّه دائمُ البحث عن العلم، والحكمة والتفقّه في أمور الدِّين والشريعة، والعقائد والمنطق، وعلم الكلام وعلوم اللغة العربيَّة، سواء أكانت من مشرب حوزويّ، أو عَبْرَ الدَّرس الأكاديميّ المنظّم ولذلك كان مستحقًا لقب (آية الله) وهو من أعلى الدرجات العلميَّة في الحوزات العلميَّة، ونال لُقب (أستاذ) وهو من أعلى المراتب العلميَّة التي تمنحها الجامعات وفقًا لشروط علميَّة أكاديميَّة صارمة.

لقد كان الشيخ الجليل (رحمه الله) موسوعة علميَّة في أكثر من علم معرفيّ إنسانيّ، فهو فقيه في العلوم الشرعيَّة والعقائديَّة، والفقهيّة، وهو بارع في المنطق، وعلم الكلام، وأصول البحث، وهو أستاذ مُحكمٌ في العلوم اللغويَّة على المستويات كافة: الصوتيَّة، والصرفيَّة، والنحويَّة، و الدَّلاليَّة، وهو في كلِّ هذه العلوم متفرِّد بمنهجية علميَّة واضحة المعالم، وأسلوب لغويّ شفاف ودال، وأفكار وطروحات رصينة و معمَّقة، كلّ ذلك في آثار تكمن فيها روح التجديد، والتحديث والتثقيف والتوعية، سواء في أسلوب الدِّراسات الدينيَّة، أو اللغويَّة، وفي المصطلحات، والمفاهيم، والأفكار التي كان يطرحها على طلابه في المؤسسات العلميَّة الدينيَّة، أو الأكاديميَّة، وأكثرها صارت كتبا متداولة بين الأوساط العلميّة الى يومنا هذا، وستبقى مستندا للدارسين والباحثين يعاودون النظر فيها، فيجدون الأصيل والرصين والمفيد.

وفيما يخصّ الجهود النحويَّة للشيخ (رحمه الله)، وهو ما جعلناه موضوعا لدراستنا نقف على آثار علمية مرموقة في هذا الميدان، منها على سبيل التمثيل لا الحصر رسالته التي قدمها لكليَّة الآداب - جامعة بغداد بعنوان: (أسماء الأفعال والأصوات: دراسة ونقد) عام (١٣٩١هـ). وأطروحته للدكتوراه التي قدمها لكلية دار العلوم - جامعة القاهرة بعنوان:

قراءة ابن كثير وأثرها في الدرس

النحوي عام: (١٣٩٦ هـ). زد على هذا ما كان يلقيه من محاضرات في الحوزة العلمية في النجف الأشرف في كتب ابن هشام الأنصاري (ت (٧٦١ هـ) كـ: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وشرح قطر الندى وبل الصدى، وشروح الألفية لابن الناظم المتوفى سنة (٦٨٦هـ)، وابن عقيل المتوفى سنة (٧٦٩ هـ) وغيرها من الكتب الخاصة بعلوم البلاغة، والفقه، والعقائد، والأصول، و علم الكلام، والمنطق، والحكمة.

وانسجاما مع مساحة مقالتنا هذه آثرنا أنْ نقف على أبرز الملامح والمظاهر التي تؤكد التوجه المحمود للشيخ الفضلي، وجهوده المباركة في مسألة لا تزال محلّ أخذ ورد بين المهتمين بدراسة النحو وتدريسه والبحث فيه والتأليف فيه انطلاقاً من ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) في - الردِّ على النحاة - وانتهاءً بعشرات المحدثين الذين عُرفوا بالدعوة إلى (تيسير النحو) مع التأكيد بأنَّ الشيخ الفضلي - رحمه الله - لم يدّعِ يومًا صراحةً أنَّه أحد دعاة التيسير النحوي، وإنْ كان في كلِّ ما قدَّمه لحركة النحو العربيّ في الحوزات العلميّة، والجامعات المدنيَّة يشير إلى أنَّه قد صبَّ النحو العربيّ في قالب، واضح المعالم، سهل المآخذ يسيرًا على المتلقين، بعيدًا عن عوالم الاشتباك، والخلاف بين المدارس النحويَّة المتقاطعة، وبعيدًا عن عوالم التوجيهات والتأويلات المتكلِّفة، والشائكة، ونوازع المنطق والسفسطة في عرض مسائل النحو الأصليّة والفرعيّة.

فما هي أبعاد الدعوة إلى تيسير النحو؟ وما مفهومها على وجه الدِّقة؟ وما اتجاهاتها وآثارها على الحركة النحويّة العربيّة؟ وقد تكاثرت المصطلحات وتعدَّدت المفاهيم، وتشابكت الآراء والأفكار، والطروحات بشأن التيسير، أو التعديل، أو التبسيط، أو الإصلاح، أو التجديد، أو الإحياء، أو غير ذلك من المصطلحات التي اختلفت مدلولاتها اللغويَّة، ولكنها تلتقي في مفاهيمها الاصطلاحية - أو تكاد تأكدوا في أغلب الأهداف التي يطمح أصحابها في الوصول إليها، وهي على ما يدَّعي دعاتها (تبويب النحو تبويبًا حديثًا) [١]، أو معالجة النحو معالجة حديثة على وفق مناهج البحث اللغويّ الوصفيَّة،

والموازنة والتاريخيَّة[٢]، أو (القضاء على الصعوبة في النحو كلِّه باختيار الأسهل من آراء القدماء، وتبسيط قواعد العربيَّة)[٣] أو (تجريد النحو من الدخائل الفعليّة كالفلسفة، والمنطق، ونظريّة العامل، وغير ذلك)[٤]. وهكذا تتكاثر الدعوات والتأليف باسم تيسير النحو، أو تعديله، أو تشذيبه، وكان من أبرز ما اقترحه أولئك الدعاة الميسرون ما يمكن إيجازه بالآتي:

أ- ربط النحو العربيّ بالمعنى، أو ربطه بالنصِّ الأدبيّ.

ب- المزاوجة بين التيسير النحويّ والعلوم الإسلاميّة.

ج- تطبيق مناهج الدِّراسات اللغويَّة الحديثة على دراسة التراكيب النحويّة.

ء- حذف بعض موضوعات النحو العربيّ كإلغاء القول بالإعراب وحركاته ونظريّة العامل فيه.

هـ- الدعوة إلى ترتيب النحو ترتيبًا جديدًا، وتعديل بعض أبوابه، أو اختصارها، ومع احترامنا لكلِّ هذه الطروحات وغيرها، لابُدَّ من تأكيد أمرين:

أولهما: أنَّنا في الدعوة إلى تيسير النحو بحاجة إلى تحديد مفهوم النحو المراد تيسيره، أو تعديله، أو تجديده، فاذا كنَّا ننظر النحو بمفهومه (العلميّ) وجدناه مجموعه من القوانين والأنظمة التي بني عليها اللسان العربيّ، ولكوننا لا يمكن أنْ نتصرف بألسنتنا مدًا، أو تقصيرًا، فكذلك النحو العربيّ بمفهومه العلميّ، لا يجوز لنا و باسم التيسير أنْ نعبث بأصوله، وفروعه، ومصطلحاته؛ لأن ذلك ملك لجميع المتخصصين والباحثين يرجعون إليه، كي يتبينوا الجهد العظيم الذي بذله اللغويون العرب منذ القرن الأول للهجرة النبويّة المباركة، وإلى يومنا هذا، يختارون منه ما يشاؤون، ويطرحون منه مالا يرغبون.

وإذا كنَّا ننظر النحو بمفهومه (العمليّ) التداوليّ، فذلك مجاله التيسير على مستوى الموضوعات التي تُخْتار والكتب التي تُؤَلّف، والمناهج التي تسلك، والأمثلة والشواهد التي تعرض، والتطبيقات التي توضع، والأساليب التي فيها تعرض.

وثانيهما: أنّ الحكم على دعوات التيسير النحوي بالقبول أو عدمه، هو طبيعة البديل الذي يقدمه كلّ من يدَّعي

التيسير، أو التجديد، أو التعديل، فمن السهولة أنْ يدعو أحد إلى إلغاء شيء أو تعديله، أو إصلاحه، أو تجديده من غير تقديم البديل عن ذلك الإلغاء، أو التعديل أو الإصلاح ومن هنا تأملنا آثار الشيخ الفضلي (رحمه الله) في النحو وفي كلِّ ما طرحه من علوم ومعارف، وأفكار فوجدنا في ذلك يُسرًا في تلقي ما طرح وفهمه والاستفادة منه من غير كدّ أو معاناة ذهن لما اعتمد عليه الشيخ الجليل من منهج تيسيري قائم على الوضوح في التنظير المعزَّز بالجانب التطبيقيّ الكاشف والمدلّ، بما يجعل الشيخ (رحمه الله) ميسرًا من الطراز الأوّل في علوم اللغة، أو في غيرها من العلوم التي برع فيها من منطق وعلم كلام، وأصول، وعقائد، وحكمة، ولنا أكثر من دليل لا سيَّما في الدّرس النحويّ - الذي جعلناه مدارًا لدراستنا ومن ذلك نذكر الآتي:

أولًا: تأليف المختصرات:

وضع المختصرات والمنظومات النحويّة منهج دأب عليه بعض النحويين القدماء، إذ اتجه فريق منهم إلى وضع تلك المختصرات، أو ما أسموه (المتون) التي ضمّنوها القواعد والمسائل الجوهريّة في النحو من غير التعرض إلى مواطن الاختلافات، أو إيراد الاعتراضات، أو ذكر الجزئيات والفروع، والأوجه الإعرابيّة المتعدّدة.

وكانت غايتهم من تأليف هذه الكتيبات - على ما يبدو تسهيل النحو، وتيسيره، وتقديمة إلى أكبر عدد ممكن من طبقات المتعلمين سواء أكانوا عرباً أم غير عرب، زد على ذلك أن تلك المختصرات كانت كفيلة بجمع أكثر القواعد النحويّة في موجز الكلام، كي يسهل على الراغبين جمع شتات هذا الفن و جزئياته التي تؤنس المتعلم[٥] والناظر في فهرست ابن النديم (ت ٣٨٥ ه) يجد إشارات إلى عشرات من المختصرات النحويّة لعلماء معروفين من أمثال ابن كيسان (ت ٢٩٩ ه)، وابن السراج (ت ٣١٣) هـ) و الزجاجيّ (ت ٣٤٠ ه)، والنحاس المصريّ (ت ٣٣٨هـ)، وابن مالك (ت. ٦٧٧ هـ) وأبي حيان الأندلسيّ (ت. ٧٤١ هـ)، وابن هشام الأنصاريّ. (ت ٧٦١ هـ) وغيرهم ممَّن وضعوا المختصرات والمتون والمنظومات وتفننوا في تسميتها إغراء للناظر فيها،

ونذكر هنا بابن هشام الانصاري (ت ٧٦١ هـ) في (قطر الندى وبل الصدى) و (شذور الذهب) و (الجامع الصغير في النحو)، و (الإعراب عن قواعد الأعراب) و(إقامة الدليل على صحة التمثيل وفساد التأويل) وغيرها. وكان النحاس المصريّ (ت ٣٣٨ هـ) صاحب(إعراب القرآن) قد وضع (التفاحة في النحو) في وريقات محدودات، ومثل ذلك وضع أبو حيان الأندلسيّ (ت ٧٤١ هـ) صاحب (البحر المحيط) و(ارتشاف الضرب) مختصره الموسوم بـ (اللمحة البدريّة في علم العربيّة).

وعلى الرَّغم من أنّ شيخنا المرحوم الفضلي قد وسم بعض كتبه بما يشير إلى أنّها مختصرات ومتون، لا تفصيل فيها، كما هو الحال في مؤلفاته: (الموجز في علم التجويد) و (خلاصة المنطق) و (خلاصة علم الكلام) و (مبادئ أصول الفقه) و (المختصر في الصرف (و) المختصر في النحو) وغيرها مما يوحي بمضامين. و موضوعات مختصرة وموجزة، فأنَّ الناظر في هذه المصنفات يجد أنّ كلا منها قد استوفى العلم الذي وضع من أجله أيّما استيفاء، سواء من حيث الكم أو الكيف، فالموجز في علم التجويد قد اشتمل على مئة صفحة، و(خلاصة المنطق). على (٢٥٣) صفحة، وخلاصة علم الكلام في العقائد على (٣٧٦) صفحة، و (مبادئ وأصول الفقه على (١٤٢) صفحة. وما أوجه الاختصار والايجاز إلا في غياب مسائل الخلاف، وذكر الوجوه الفقهيّة، أو العقديّة، أو الشرعيّة، أو الصرفيّة أو النحويّة الاعرابيّة والخلافيّة، واستيفاء تفاصيلها، وجزئياتها، وفروعها جميعها.

ولذا كان ما أسماه الشيخ - رحمه الله (مختصر النحو) مصنفًا علميًّا شاملًا اختصر فيه أبواب النحو، وضروب التراكيب والأساليب النحويّة كلّها، وقدمها للدارسين والباحثين متعلمين ومعلمين، وفقاً لمنهج دراسي تطبيقي ميسّر، وبأسلوب لغويّ رشيق واضح، وأمثلة وشواهد تداوليّة قريبة المآخذ، واضحة المعالم.

لقد جاء هذا الكتاب النحويّ القيم في أكثر من (٢٦٠) صفحة، و هذا الكم لا يعدّ اختصاراً قياساً لما وجدنا من مختصرات للقدماء والمحدثين، لا يتعدى بعضها عشر صفحات، إنْ لم

تكن أقل، أو أكثر قليلا كما هو شأن (التفاحة في النحو) لابن النحاس، أو (اللمحة البدريّة) لأبي حيّان الأندلسيّ، وغير ذلك من المختصرات، ميسرة الفهم على أكثر المتلقين، مما حدا ببعض النحاة إلى شرحها في مطولات، كما فعل ابن هشام في (شرح اللمحة البدريّة) الذي قمنا بتحقيقه ونشره بمجلدين.

أما مختصر النحو، لشيخنا الفضلي- رحمه الله - فهو مصنف جليل القدر يمثل خلاصة وافية شاملة لموضوعات النحو وأساليب العربيّة وتراكيبها.

ثانيا: المنهجية المتقنة:

استند الشيخ الفضلي - رحمه الله - إلى منهج وصفي تراتبي تطبيقي في مؤلّفه (مختصر النحو)، ولعل أبرز سمات هذا المنهج الحصيف الميسَّر الآتي:

أ- الاهتمام بتعريف الباب النحوي المعين، ثم الانتقال الى شرح ذلك التعريف أو الحدّ شرحًا علميًّا موضوعيًا موجزًا قائمًا على سهولة الأسلوب، ووضوح المعاني، وشفافية اللغة، مبتدأ بتعريف النحو، وموضوعه، وفائدته[٦]، ثم ينتقل الى حدّ الكلمة بكونها ((قول مفرد)) ثم يعكف على شرح هذا الحد، لإيضاح المقصود بـ (قول) و ب(مفرد)، ثم يمثل لذلك بمثال واضح كـ (محمد شاعر) مفرقاً بين (محمد) بكونه قولًا مفردًا، و (محمّد شاعر) بكونه جملة دالة على (ذات محمّد) و (صفة الشعر).

ب- الاهتمام بالتقسيمات:

فأقسام الكلم عنده (الاسم، والفعل، والحرف) مستدلًا على انحصارها في هذه الأقسام بالاستقراء، والإسناد، والدّلالة.[٧]

وأقسام الاسم متعددة باعتبارات معينة منها باعتبار الجنس، والعدديّة، وما يلحق بكلٍّ منها[٨]، وأركان الجملة الأساسيّة، هي: المسند إليه، والمنسوب اليه، أو المحكوم عليه، والمسند أو المنسوب أو المحكوم به، والنسبة، أو الحكم، وقد تشتمل الجملة على عناصر أخرى غير ما ذكر، وتعرف بـ (التكملة) أو (الفضلة). و من أقسام الجملة: الكلام والكلم، ولكل قسم عناصره ومكوناته ودلالاته[٩] ودوننا أيضا تقسيمه المتقن للحروف[١٠].

ج- اهتمامه برسم المخططات التوضيحيّة التي تيسّر على المتلقي استقراء أقسام الباب النحوي المعين:: أصوله وفروعه بمجرد النظر في المخطط المعين، بحيث يمكن من خلال هذا النظر استذكار أكثر حيثيات أو محاور ذلك الباب النحوي، وطبيعة ارتباط بعضها ببعض، أو صدور بعضها من بعض، وعلى سبيل المثال يمكن النظر فيما صنعه الشيخ (رحمه الله) من مخططات لبيان (أنواع أل) وأقسامها.[١١]، وأنواع الضمائر[١٢]، وأسماء الإشارة[١٣]، وأنواع الخبر[١٤]، وتوزيع العلامات الإعرابية[١٥] و علامات البناء[١٦]

د- اهتمامه بالتطبيقات الإعرابية الميسرة، والواضحة مع حرصه على تقليب الأمثلة لاستيفاء كلّ حلقات الموضوع النحوي أصولها، وفروعها، ودوننا في ذلك التطبيقات الإعرابية التي طرحها حول الأفعال المتعدية إلى مفعولين، وأكثر المنصوبات والتوابع، وأساليب المدح والذم، والنداء وشعبه[١٧] ومن الجدير بالذكر هنا أن الشيخ الفضلي (رحمه الله) -في حديثه عن المفاعيل قد ابتدأ بالمفعول المطلق، ثم أعقبه بذكر المفعول به على غير ما هو مألوف في أغلب كتب النحو قديمها وحديثها التي تبدأ عادة بالحديث في المفعول به، كما فعل سيبويه (ت ١٨١ هـ) من المتقدمين إذ ذكر المفعول به أولا في باب (المتعدي إلى مفعول واحد) تم أعقبه بالحديث عن المفعول المطلق. أنّ الفعل لا يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه ؛ لأنّه إنّما يذكر ليدلّ على الحدث، وقصد بالحدثان : المصدر الذي يؤخذ منه الفعل الذي يذكر للدلالة على الحدث.[١٨]

و سار على هدي سيبويه أغلب النحاة، متقدِّمين و متأخرين كما هو الشأن. في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك إذ قدم الحديث فيما يتعدى إلى مفعولين

في باب العلم المفاعيل، تم أعقب ذلك حديثه في المفعول المطلق[١٩]. ونرى أنّ تقديم الحديث في المفعول المطلق على بقية المفاعيل أولى لعدم اقتران هذا المفعول بحرف جرّ، كما في بقية المفاعيل، زد على ذلك أنه أقرب إلى عامله (الفعل)، أو ما في معناه في اللفظ، أو في المعنى.

هـ - ومن أبرز مظاهر التيسير النحوي عند الشيخ الفضلي - رحمه الله - دأبه على أن يختتم بعض الموضوعات النحويّة التي عرضها بخلاصة تشمل أبرز ما تم عرضه حولها، وهذه الخلاصة الوافية عامل فاعل في التيسير على الدارس في للوقوف على أهم حلقات الموضوع النحوي المعين.[٢٠].

ثالثا: إطلاق بعض المصطلحات الجديدة:

أطلق الشيخ الفضلي (رحمه الله) بعض المصطلحات النحوية الجديدة في مقابل ما عرف من مصطلحات القدماء والمحدثين، وقد رأينا في بعضها قربًا من المفهوم المراد. نذكر من ذلك تقسيمه العوامل على أنواع معينة اصطلح على كل منها بمصطلح لم يؤلف من قبل، من ذلك مصطلح (العامل الأصلي) و (العامل الزائد) و قصد بالأول العامل الذي يؤثر الإعراب في لفظ الكلمة ولا يجوز حذفه، وأراد بالثاني العامل الذي يؤثر الإعراب في لفظ الكلمة ويجوز حذفه كالباء الداخلة على خبر (ليس)، وكذا ما سمّاه (العامل شبه الزائد) الذي يؤثر الإعراب في لفظ الكلمة فقط، ولا يجوز حذفه ك (ربّ). [٢١]

و في معرض حديثه في البناء وأنواعه وعلاماته ذكر(رحمه الله) مصطلح البناء السماعي قاصدا ما يقتصر فيه على المسموع من استعمالات العرب[٢٢]

و مصطلح الاسم (المبهم التام)، و أراد به الاسم المستعمل مع اسم نكرة يمتنع اضافته كـ (ربه رجلا) فالهاء في ربِّه اسم مبهم تامّ، وهو العامل، ورجلًا منصوب به على التمييز[٢٣]

وكذا استعماله مصطلح (الكلمة) قاصدا به ما يسمى عند النحاة بـ (الفضلة)، أو قيود الإسناد، ومثال ذلك عنده: (أنزل الله القرآن هدى للناس)، فالقرآن، وهدى، واللام، والناس (تكملات) على حد تسمية الشيخ -[٢٤] ومن بين الأساليب التركيبية التي ذكرها (رحمه الله)أسلوب (الردع) أو الزجر، وأداته على رأيه واحدة هي (كلا) من أحرف الجواب[٢٥].

وممَّا اصطلح عليه الشيخ مصطلح: (الظرف المستقر)، وأراد به الجار والمجرور والظرف المتقدمات على

الاسم، والمتعلّقان بعام يقدّر بـ (استقر) أو (مستقر) نحو أمامك زيد، و: في الدار عمرو. ويسوق خلاف النحاة في عمله، فمن قائل: إنَّه يرفع الاسم بعده فاعلًا، و من قائل: إنه لا عمل له.[٢٦]

رابعا: جمعه الأساليب والتراكيب النحويّة:

من مآثر الشيخ الفضلي (رحمه الله) النحويّة التي عمّت فائدتها الدارسين والباحثين في الدّراسات اللغويّة عموما أنَّه خصَّ الأساليب اللغويّة التعبيريّة، الإنشائيّة والإخباريّة باهتمام كبير، ممَّا يسّر على المشتغلين بالدراسات الأسلوبيّة والتركيبيّة الدّلاليّة الوقوف على أبرز تلك الأساليب والتراكيب، سواء أكانت أساليب إنشائية محضة أو غير محضة أو كانت تراكيب إخبارية، وما يتفرّع من كلّ واحد من تلك الأساليب من فروع وأنماط، فهناك أساليب للطلب، كالأمر والنهي، والاستفهام والعرض، والتحضيض والتمني، والترجي، والدّعاء، ولكلّ منها تركيبه اللغويّ، وهناك أساليب النداء وشعبه كالإغراء والتحذير، والندية، والاستغاثة، والاختصاص، وهناك أساليب القسم، والشرط، والتعجب والمدح والذّم، والردع، وغيرها من الأساليب والتراكيب التي هي تفاريق في كتب النحو واللغة والتفسير، لا يمكن للدارس أنْ يقف عليها من غير أن ينظر في تعاريفها وأنماطها ليتمكن من تحديد ماهيتها، واستنباط نظام كلّ منها، ولا شكّ أنّ مثل هذه الدراسات تحتاج إلى كثير من النصب والعناء والصبر على النظر في كتب النحو، واللغة، والتفسير، والقراءات، وإلى جهد استثنائي في التقصّي، والتتبع، والجمع، والتحليل ليكون كلّ سياق من السياقات اللغويّة داخلًا في موضعه من الأسلوب، أو التركيب المعين)).[٢٧]

لقد يسَّر الشيخ الفضلي (رحمه الله) على الباحثين، والمهتمين بالدراسات الأسلوبيّة والتركيبيّة اللغويّة بوضعه بين أيديهم وسائل اللغة العربيّة في التعبير عن كلّ أسلوب من أساليب اللغة، فليس التعبير عن (التوكيد) مثلا - يجري بـ (إنّ، وأنّ، بل هناك أنماط وضروب متعددة للتعبير عن هذا الأسلوب جمعها الشيخ منتظمة وموضحة بالأمثلة الكاشفة فتحدّث

بإيجاز غير مخلٍ، ولا مرتبك عن كلّ الأنماط التي تمتلكها اللغة العربيّة للتعبير عن التوكيد، فهناك التوكيد بالمفعول المطلق، وبالحال، وبالنعت، وبالقسم، وبضمير الفصل، وبالزيادة. و بالتمييز، وبنوني التوكيد، وغير ذلك من الأنماط[٢٨]

وكأني بالشيخ الجليل قد أدرك بأنَّ كثيرًا من التراكيب اللغويَّة التي يُبوَّب لها في كتب النحو قد اقتصر فيها على بعض الأنماط والصور التركيبيّة التي لا تؤكد حقيقة التركيب، أو الأسلوب المعين، أو أنَّها جامعة أنماطه، ونماذجه المتعددة، فقد بوَّب النحاة مثلًا- أسلوب التوكيد بباب (التوكيد اللفظي والمعنوي)، في حين تمتلك اللغة العربيَّة أنماطًا أخرى جمعها الشيخ، وبوَّب لها في أسلوب مسمّى.

وهكذا الأمر في أساليب الطلب، والنداء، والتعجب، والقصر و المدح والذّم وغيرها من الأساليب التي تكفل بعرضها مفصلة متقنة مع التمثيل لها بأمثلة تطبيقيّة قريبة المآخذ. شيخنا الجليل الفضلي (رحمه الله) وكأنّي به في هذا الصنيع العلميّ المرموق قد كان يجيب عن سؤال يطرحه الدارسون، والباحثون في اللسانيات المعاصرة، التطبيقيّة والمقارنة عن كيفية تعبير لغة ما عن أسلوب من أساليب التواصل والاتصال، والإنشاء اللغويّ الجماليّ.

الهوامش:

١- ينظر في ذلك: الحصري، ساطع: آراء وأحاديث في اللغة والأدب: ص ١١٠) و طه حسين: مشكلة الإعراب: ص ٩٩، والمبارك، د. مازن: نحو وعي لغوي:ص ١٠٥

٢- ينظر: المخزومي، د. مهدي: مدرسة الكوفة: ص ٣٩٩

٣- ينظر على سبيل المثال: إبراهيم مصطفى:- إحياء النحو، الجودي شاكر، - تشذيب منهج النحو. وجيو فري: تيسير العربية . ومحمد على كمال الدين: تيسير العربية على المتعلمين، و: عبد الكريم خليفة: تيسير العربية بين القديم والحديث. وشوقي ضيف: تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع منهج تجديده، ص ٢٢٠ والسودا، يوسف: الأحرفية. ومجموعة من الباحثين: في النحو العربي مناهجه وتيسيره. وغيرها كثير.

٤- طنطاوي، الشيخ محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص٢٢٠

٥- ينظر: ابن النديم: الفهرست: ١/ ٩٢،٩٥، ٩٨، ١١١، ١٢٥،١٢٠، ١٢٧

٦- الفضلي، الشيخ عبد الهادي: مختصر النحو: دار الشروق / جدة / ٩٩٨٠

٧- ينظر: نفسه: ص. ٥ - ٠٩

٨- نفسه: ص ١٠

٩- نفسه: ص ١٨-١٩

١٠- نفسه: ص١٥٥ وما بعدها.

١١- نفسه: ص. ١٥٨

١٢- نفسه: ص. ٤٧

١٣- نفسه: ص٥٨

١٤- نفسه: ص ٧١

١٥- نفسه: ص. ٢٧

١٦- نفسه: ص ٣١

١٧- ينظر الصفحات: ١٣٩، ١٥٦، ١٨٨،٢٢٣

١٨- ينظر: نهر، د. هادي: الشرح المعاصر لكتاب سيبويه:١ /١٤٨

١٩- ينظر: ابن عقيل: شرحه: ١/٣٢٧ وما بعدها، ٤٣٤ وما بعدها.

٢٠- ينظر:الفضلي: مختصر النحو: ص ٣٥.

٢١- نفسه ص٣٨

٢٢- نفسه: ص ٣٣.

٢٣- نفسه: ص. ٢٥٣

٢٤- نفسه: ص ١٨-١٩

٢٥- نفسه: ص. ٢٢٤.

٢٦- نفسه: ص ٢٥٧

٢٧- نهر د هادي: التراكيب اللغوية في العربية. ط ٢ص٤

٢٨- ينظر: الشيخ الفضلي: مختصر النحو: ص ٢٣٥ وما بعدها.

المصادر والمراجع:

١ - الجودي، شاكر: تشذيب منهج النحو - مطبعة المعارف - بغداد / ١٩٤٩.

٢- جيو فري: تيسير اللغة، القاهرة / ١٩٥٩

٣- الحصري، ساطع: آراء وأحاديث. في اللغة والأدب - دار القلم - بيروت / ١٩٥٨

٤- خليفة، د. عبد الكريم: تيسير العربية بين القديم والحديث - عمان / ١٩٨٦

٥- السودا، يوسف: الأحرفية - دار الريحاني - بيروت / ١٩٥٩.

٦- د شوقي ضيف: تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع منهج تجديده - دار المعارف، مصر، ١٩٨٦.

٧- طه حسين: مشكلة الاعراب. مجلة اللغة العربية - القاهرة - ١٩٥٥

٨- طنطاوي، الشيخ محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة - دار المعارف - مصر / ١٩٩٥

٩- ابن عقيل: اشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - تحقيق: حنا الفاخوري - دار الجيل - بيروت (د. ت).

١٠- فريحة، د. أنيس: تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساس منطق جديد - بيروت١٩٨٢/لبنان

١١- الفضلي، الشيخ عبد الهادي: مختصر النحو - دار الشروق - جدة / ١٩٨٠

١٢- مبارك، د. مازن: نحو وعي لغوي - مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٩٧٩

١٣- مجموعة من الباحثين: في النحو العربي ومناهجه وتيسيره - جامعة بغداد /١٩٩٢

١٤- المخزومي، د. مهدي: مدرسة الكوفة ط٢، القاهرة / ١٩٥٨

١٥- ابن النديم: الفهرست: اعتنى به وعلق عليه: الشيخ إبراهيم رمضان دار الفتوى - بيروت اذ. ت

١٦-نهر د. هادي: التراكيب اللغوية في العربية. ٢ - ط - دار اليازوري - عمان- ٤

١٧- نهر: دراسات في اللسانيات - ثمار التجربة - عالم الكتب الحديث - الأردن باربد ٢٠١١.

١٨- نهر: الشرح المعاصر لكتاب سيبويه - عالم الكتب الحديث، الأردن - إربد ٢٠١٤.

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضليّ
" 1354 هـ 1432 " وجهوده الصّرفيّة

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد عليّ الضّايف / كليّة الآداب - الجامعة المستنصرية

هو الشيخ الدكتور عبد الهادي بن الشيخ ميرزا محسن بن الشيخ سلطان بن محمّد بن عبد الله بن عباد بن حسين بن حسن بن أحمد بن حسن بن ريشان بن علي بن عبد العزيز بن أحمد بن عمران بن فضل بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة البصري الأحسائي النجفي. واشتهر بالعلاّمة الفضلي والدكتور الفضلي.

مولده ونشأته:

ولد في ليلة العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٤هـ الموافق للسادس من كانون الأول سنة ١٩٣٥م بقرية (صبخة العرب) إحدى القرى القريبة من البصرة بالعراق، حيث كانت تسكن العائلة بعد رحيلها من الأحساء بالسعودية. ونشأ في البصرة نشأة علمية دينية عالية برعاية والده «آية الله الميرزا محسن الفضلي».

دراسته:

جمع الفضلي بين الدراسات الحوزوية والأكاديمية، وبلغ أعلى الدرجات العلمية في الحوزات العلمية والأكاديمية

ودرس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف «علم الأصول» على يد أبرز أساتذة الحوزة، منهم سماحة «المرجع المرحوم السيد أبو القاسم الخوئي»، و«آية الله الشيخ محمد طاهر آل راضي»، و«آية الله الشيخ محمد رضا المظفر» و«آية الله السيد محمد تقي الحكيم، كما درس «الفقه» على يد المراجع «المرحوم السيد محسن الحكيم»،و «المرحوم السيد أبو القاسم الخوئي» و«المرحوم السيد محمد باقر الصدر».

غادر النجف الأشرف سنة ١٩٧١ للعمل استاذا لمادتي النحو والصرف في جامعة «الملك عبد العزيز» في مدينة جدّة بالسعودية. وابتعث بعدها لدراسة الدكتوراه في كلية «دار العلوم» بجامعة القاهرة التي تخرج فيها سنة ١٩٧٦ بدرجة دكتوراه في اللغة العربية في النحو والصرف والعروض بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف.

مكانته العلميَّة:

وينظر للشيخ الفضلي بوصفه ثقة المفكر الإسلامي الكبير الشهيد

محمد باقر الصدر، وقد أشار الشهيد في بعض رسائله إلى الشيخ الفضلي بأنَّه من مفاخر الحوزة العلميَّة بالنجف.

وقال الشهيد الصدر في رسالته للشيخ الفضلي بعد أن غادر الأخير الحوزة لإكمال دراسته الأكاديمية في القاهرة: الواقع إنّ مما يحزّ في نفسي أن تكون أوضاع الحوزة بشكل يزهد في الإقامة فيها أمثالكم، ممن يرفع الرأس عالياً، ويشكل رقماً من الأرقام الحية.. فأنت من آمال الحوزة ومفاخرها».

وكان الفقيد الراحل من رواد الحركة الإسلامية في العراق، ومن الرعيل الأول الذي انضم إلى حزب الدعوة الإسلامية، وأسهم مع آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر في بناء الحركة الإسلامية في العراق، وقدَّم خدمات جليلة للمكتبة الإسلامية، وكان أحد أعلام الحوزة العلميّة في النجف الأشرف والمحافل العلميّة.

كما إن المغفور له أسهم إسهاماً فاعلاً في إغناء الحركة العلميَّة في العراق، وفي العالمين العربي والإسلامي، وقد ترك عشرات المؤلفات القيّمة، واستمر في جهوده العلميّة إلى آخر يوم من حياته الشريفة.

وللراحل سلسلة من الكتابات والبحوث والدارسات العميقة في مجالات الفقه والأصول واللغة والأخلاق، وله من الكتب المطبوعة ما يربو على (٦٦) كتاباً.

والفضليّ أستاذ في النحو والصرف والعروض، علاّمة بحّاثة، أشاد به الخالدون، وتلمذ على يديه الكثيرون. عالم فاضل، ومؤلف بارع، كان دؤوبا على البحث، دائم التطلع إلى المعرفة، ناقداً مجددًا، واسع الاطلاع، لم يَدَعْ علمًا إلَّا وكتب فيه، فبذلك أصبح جاحظ عصرنا إلَّا أنَّ الجاحظ كان معتزلياً، وشيخنا كان شيعياً، بل رمزاً من رموز الشيعة، وعلما من أعلامها، ترجمت مجموعة من كتبه إلى اللغة الانجليزية، واعتمدت للتدريس في جامعات بريطانية. أضاف إلى المكتبة العربية عدداً غير قليل من المؤلفات التي تغني دارس اللغة العربية عن

أمات الكتب في مجال تيسير النحو. تلمذ على يدي فطاحل العلم وعلماء العصر أمثال أستاذه العلّامة مصطفى جواد، والدكتور إبراهيم السامرائي. نُشِرت له بحوث كثيرة في مجلات متُعدِّدة بين شرق الوطن العربي وغربه. تنقل بين العراق والسعودية ومصر، واستقرّ في السعودية، وتوفي ودفن هناك.

أهمية الكتاب:

اخترت من بحر عالمنا الزاخر سفره الموسوم ب « موجز الصّرف «، وسأفصل الحديث عن أهميته ومنهجه فيه، الذي سار عليه.

وقد اعتمدت فيه على طبعة منقحة مزيدة من هذا السفر، الذي جاء بعنوان: «مختصر الصّرف» بدلا من موجز الصّرف»، إذ صدر عن دار القلم، بيروت / لبنان.

نقرأ في مقدمة هذه الطبعة بعدَ حمدِ الله سبحانه، والصلاة على عباده الذين اصطفاهم من خلقه أجمعين.

ذكر شيخنا الجليل بتواضع العالم، وسمات المعلم المجتهد أن هذا الكتاب محاولة متواضعة ؛ لتقديم عرض مختصر لمادة علم الصّرف [وهو من العلوم التي يجد فيها الطالب صعوبة]، بأسلوب تعليمي ميسّر ؛ توخَّى فيه ضمّه حلقة أخرى لـ (مختصر النحو)؛ بغية أن تتكامل المحاولتان في التعريف. فنجد في هذه الطبعة أنّ الدكتور عبد الهادي الفضليّ «رحمه الله تعالى» قد زاد في موضوعات الكتاب، وهي زيادة نافعة ومفيدة لكل مستزيد في علم الصّرف، تلك الزيادة تمثّلت في الموضوعات الآتية:

التعويض، والتقاء الساكنين، وهمزة الوصل، والإدغام، وأخيرا موضوع الوقف، وكلها مهمة، ولا غنى عنها لطلبة هذا العلم ومريديه.

وفضلا عما ذكرنا فقد جعل لهذا الكتاب المهم ملحقا ضمّنه معاني الكلمات الغريبة، وشبهها مما استعمله في كتابه في طبعته الأولى، سواء أكانت شاهدا أم مثالا.

منهجه:

أما عن منهجه في عرض المادة فيت لخص في الآتـــــــــــــي:

بعد أن أعاد الشيخ الجليل النظر في كتابه بطبعته الأوّلى، وقد جاءت بعنوان « موجز الصّرف» فصحح ما وقع فيه من أخطاء، وزاد فيه ما جادت به قريحته، وما توافر له من وقت وجهد، وغيّر عنوان الكتاب فصار: «مختصر الصّرف».

وقد قسّم كتابه قسمين: الأوّل: جعله في التمهيد الذي خصصه بتعريف علم الصّرف وسمّاه بـ « علم التصريف» لغةً واصطلاحا، أما القسم الثاني فقد ضمّ الأبواب الآتية:

١- الكلمة: عرّفها وبيّن عناصرها، وبنيتها، وميزاتها.

٢. تصريف الأسماء.

٣- تصريف الأفعال. عرض فيه أقسام الفعل، وأوزانها، وأحكامها.

٤- تصريفات عامة: عرض فيه: الإبدال والإعلال.

٥- التغيير الصّرفي: المراد به إبدال تاء « افتعل » طاء ؛ لوقوعها بعد الصّاد.

وزاد عليها الموضوعات الآتية:

التعويض، والتقاء الساكنين، وهمزة الوصل، والإدغام، وأخيرا موضوع الوقف، وكلها مهمة ولا غنى عنها لطلبة هذا العلم ومريديه.. نأتي الآن إلى الحديث المفصّل عن عمل الشيخ في كتابه

بدأ عالمنا الفاضل بذكر المصطلح الصّرفي أو المفهوم الصّرفي، ثم ثنّى بتعريفه إذا كان ذلك لازما بذكر الأقسام والأحكام، وما يتبعها من مسائل، ووقف عند موضوعاته، وفائدة دراسة علم الصّرف أو التصريف، وجدوى تلك الدراسة لدى دارس العربيّة بعامة، ولخصه في أمرين اثنين: الأوّل: تمكين الطالب من نطق الكلمة العربيّة كما وُضعت، ونطق بها العرب. الثاني: فهم مادة التراث اللغوي العربي.

وقد فرّق في مقدمته بين علم التصريف وعلم النحو بقوله:

إنّ علم النحو يتوفر على دراسة أحوال الحرف الأخير من الكلمة المعربة،

بينما يدرس علم الصرف ماعدا ذلك من أحوال الكلمة المعربة وغير المعربة بما يرتبط بموضوع بنيتها، ثم بيّن ذلك عند وقوفه على موضوعاته التي تتلخص في دراسة الأسماء المتمكنة «المعربة»، والأفعال المتصرفة «غير الجامدة»، ومن ثَمّ فإنّ الحروف والمبنيات من الأسماء وجوامد الأفعال لا تدخل في مجال دراسة الصرف وأبحاثه.

كانت طريقة الشيخ الفضلي «رحمه الله تعالى» بعد ان يذكر المصطلح، يشرع في شرح ذلك التعريف، فمثلا حين ذكر مصطلح التصريف قدّم له تعريفا بقوله:

التصريف: هو علم يبحث فيه عن قواعد أبنية الكلمة العربيّة، وأحكامها غير الإعرابيّة أي: (غير النحوية).

ثم عرّج على شرح ذلك التعريف بقوله: يتوفر علم الصرف على تبيان كيفية تأليف الكلمة المفردة بتبيان:

أ: وزنها.

ب: عدد حروفها، وحركاتها.

ت: ترتيبها.

ث: ما يعرض لها من تغيير، أو حذف

ج: مافي حروف الكلمة من أصالة وزيادة.

ونراه يأتي بمثالٍ توضيحي فيختار لفظة (اصطنع) بالآتي:

١. الحروف الأصول في كلمة «اصطنع» هي: الصّاد والنون والعين.

٢. التركيب الأصلي لها هو «صنع» بفتح جميع حروفها.

٣. الوزن المجرد لها هو «فَعَلَ»، بفتح جميع حروفه.

٤. الحروف المزيدة فيها هي: الهمزة والطاء.

٥. الوزن المزيد فيه لها هو (افتعل).

ولنأخذ مثالا آخر:

نقرأ في تعريف الكلمة عند الشيخ الفضلي: هي القول الدال على معنى مفرد، وجاء بأمثلة عليها مثل: كتاب، معلمات، مكة المكرمة،... إلخ.

ثم راح يشرح تعريفها، بأنها هنا في علم الصرف بأنها: مايقابل الجملة سواء أكانت لفظاواحدا مثل: كتاب، أم غير واحد مثل عبد الرحمن

اسما لرجل، فإنّها وإن كانت مؤلفة من لفظين إلا أن معناها واحد أي مفرد وليس بجملة ؛ لأن المقصود منها شخص المسمّى بهذا الاسم، وهو معنى مفرد.

ثم بدأ يبين عناصرها التي تتألف منها، وهي:

الحروف والأشكال والضوابط،

ثم بيّن المقصود من الحروف التي تتألف منها بنية الكلمة العربيّة، وهي: حروف الهجاء، وحروف الألفباء وحروف المباني، وقال: قد يعبّر بها عن الأصوات أيضا مثل: الهمزة وب وت وث... الى الياء.

ثم عرّج على تقسيم الحروف، وأفاض في بيان أنواعها، فقسمهاعلى:

١.الصحيحة، فحروف العلة أو حروف اللين، وتسمّى حروف المد التي ذهب إلى بيان حقيقتها بأنها امتداد لاصوات الحركات الثلاثة.

٢. الأشكال: وأراد بها العلامات، وقسمها على:

الحركات، والسكون، والتنوين.

وأراد بالحركات هنا: الأصوات القصيرة والحروف الصغيرة التي هي: الضمة والفتحة والكسرة،ثم السكون الذي عرّفه بأنه: ضد الحركة وانعدامها.

أما التنوين، فقد أراد به تضعيف الحركات الثلاثة إلى ضمتين وفتحتين وكسرتين كتابةً.

أما الضوابط ففسرها بأنّها الشّدة، ويدلّ بها على أن الحرف المشدد هو في الحقيقة حرفان مدغمان، ومثّل له بـــ: عدّ المأخوذ من عدد.

وجاء أخيرا بالمد ووصفه بأنّه همزة بصورة ألف مدغمة في ألف نحو: آس.

ثم الوصل والفصل، وبيّن معنى الوصل والمراد به إسقاط الهمزة لفظا في أثناء الكلام.

أما القطع: فهو إثبات الهمزة في التلفظ نحو: أكل، وسأل.

وجاء إلى بيان بنية الكلمة وقسم الحروف التي تتألف منها تلك البنيات التي تؤلف كلمات على:

أصول، وزوائد.

والمراد بالأصول، وعرّفها بأن

أقل ما تتألف منها الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة: ثلاثة أحرف، ومن هنا أخرجوا من موضوع التصريف ما كان على حرف واحد أو حرفين، وألحقوا بعلم الصّرف ماكان أحاديا أو ثنائيا في لفظه ثلاثيا في أصله مثل: يد وقل وعِ.ويطلق على هذه الحروف الثلاثة بالأصول، وكل ما انطبق عليه تعريف الحرف الأصل الآتي، وما عداه فيسمّى بالزائد أو حروف الزيادة.

وعرّف الحرف الأصل بقوله: إنه الحرف الذي يلزم الكلمة عند تصريفها من هيأة إلى أخرى إلا أن يكون محذوفا تخفيفا، أو لعلة عارضة. أما الحروف الزوائد فمجموعة بقولك: (سألتمونيها)، أو (اليوم تنساه).

ثم بيّن معاني الزيادة في الكلمة وجعلها على نوعين:

أ. لإضافة معنى جديد إلى الكلمة، كما في زيادة الألف في «كاتب»، للدلالة على اسم الفاعل.

ب. الزيادة لا لإضافة معنى جديد، وتأتي للأمور الآتية:

١. للإلحاق: ويراد بالإلحاق هنا: إلحاق بناء الكلمة في الوزن أو التصاريف ببناء كلمة أخرى مشهورة الاستعمال، ومثّل لها بالواو في كلمة (كوثر) لإلحاقها بـ جعفر.

٢. لمد الصوت، ويتم هذا في حروف المد واللين، ومثّل لها بـ كتاب وصحيفة وعمود.

٣. للتعويض، كما في همزة «ابن» إذ زيدت عوضا عن اللام المحذوفة.

٤. للتكثير كما في «قبعثرى» حيث زيدت لتكثير حروف الكلمة.

وقال: قد تأتي الزيادة، بغير هذه الحروف العشرة « سألتمونيها أو اليوم تنساه « كما في التضعيف للإلحاق كـ جلب، وشملل وللمبالغة كـ فرّح وظهّر.

ولم يقف عند هذا الحد في ذكر حروف الزيادة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك،فذكر مواضع الزيادة، فهي لاتعدّ زائدة إلا إذا وقعت في موضع الزيادة، وزيادة على ماتقدّم ذكر ضوابط الزيادة لكل حرف لدى علماء الصرف، وتتلخص

تلك المواضع في:

١.مو ضع زيادة الألف .

٢. موضع زيادة الياء والواو.

٣. موضع زيادة الهمزة.

٤. موضع زيادة الميم

٥. موضع زيادة التاء

٦. موضع زيادة النون.

٧. موضع زيادة الهاء.

٨. موضع زيادة السين.

٩. موضع زيادة اللام.

ومثّل لكل منها.

وبيّن بعد ذلك أدلة الزيادة، وحصرها في الآتي:

أ. سقوط الحرف من الكلمة الأصل. ومثّل لها بسقوط الألف من كلمة ضارب من مصدره « ضرب».

ب. سقوط الحرف من الكلمة الفرع، كألف كتاب ؛ لسقوطها من فرعه، وهو الجمع «كُتُب».

ج. سقوط الحرف من الكلمة في بعض استعمالاتها كالياء في « أيطل»؛ لسقوطها في الاستعمال الآخر للكلمة نفسها إذ يقال: «أطل» مع وحدة المعنى.

د. وقوع الحرف في الكلمة الجامدة في موضع الحرف الزائد من الكلمة المشتقة، كالنون في «عصنصر»؛ لوقوعها ثالثة ساكنة غير مدغمة، وبعدها حرفان، وهي لاتقع في المشتق هكذا إلا زائدة.

هـ. وقوع الحرف في الكلمة الجامدة في موضع تغلب عليه الزيادة إذا كان في المشتق كالألف في «أرنب»؛ لكثرة زيادة الألف في المشتقات إذا وقعت أولا بعدها ثلاثة أحرف.

و. الخروج على الأوزان المعروفة للكلمة عند عدّ الحرف أصلا فيها، كالتاء الأولى في « تُنتفل» فإنّها زائدة لغياب النظير لها في العربيّة.

ز. دلالة الحرف على معنى زائد على المعنى الأصل للكلمة كما في حروف المضارعة، وألف اسم الفاعل.

ونخرج من كل ماتقدّم أنه متى توفرت واحدة من هذه في حروف الكلمة عُدّ ذلك الحرف زائدا.

وبعد ذلك تحول إلى بيان أقسام الكلمة وهي ثلاثة:

اسم، وفعل وحرف، وشرع

بتعريف كل قسم منها، ثم ذكر أن الصرفيين وضعوا لمعرفة بنية الكلمة مقاييس لفظية عبّروا عنها بالأوزان والزنات والصيغ والهيئات، فقد اتخذوا من «الفاء والعين واللام» دوال على الحروف الاصول للكلمة، ويقابلها الحروف الزوائد وهي:» الألف واللام، والياء، والميم، والتاء، والنون، والسين، والهاء، والواو، والهمزة»، وذكر أمثلة وافية للتوضيح، ثم شرح بالتفصيل طريقة الوزن وقواعده.

وتحول إلى بيان تصريفات الكلمة ومجيئها على هيآتها وصورها المتعددة، وكلها مأخوذة من مادة واحدة، مثال ذلك «ف. هـ. م» فإنها تأتي على الصور الآتية:

فهم، يفهم، افهم، فهّم، فاهم، مفهوم... الخ.

أما التصريفات فتنقسم على:

تصريف الأسماء، وتصريف الافعال، وتصريفات عامة.

وحين جاء إلى تصريف الأسماء قسمهاعلى مجرد ومزيد من حيث أصالة حروفها وزيادتها، والمجرد إلى ثلاثي ورباعي وخماسي، وذكر أبنية كلّ منهما، ثم عرّج على ذكر أبنية المزيد سواء أكان ثلاثيا أم رباعيا أم خماسيا أم سداسيا أم سباعيا، وأحال القارئ على سيبويه الذي بلغ بها إلى «٣٠٨» وزنًا، وزيدعليها بعده بأكثر من «٨٠» وزنا.

ثم تحول إلى نوع آخر من تقسيم الأسماء تقسيما يعتمد على نوع حروفها من حيث الصحة والاعتلال، فقسم الصحيح على سليم ومهموز ومضاعف، والمعتل إلى مقصور ومنقوص، وقسم الممدود على قياسي وسماعي.

وقسّم الأسماء باعتبار الجنس إلى مذكر ومؤنث، وعرّج على علامات التأنيث، والمؤنث الحقيقي والمجازي، وذكر ماكان منه قياسي أو سماعي، والأسماء التي يجوز تذكيرها وتأنيثها، وبيّن المفرد من الأسماء والجموع. منها، وذكر أنواع الجموع من الجموع الصحيحة والأنواع الأخرى من جمع التكسير الذي يدل على القلة والكثرة، وتعرض إلى أوزانها جميعا.

وذكر أنواع الاسماء من مشتق

وجامد، وتحدّث عن المشتقات بأنواعها المختلفة من مصادر وأسماء الفاعلين، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأسماء المبالغة،... الخ.

مع ذكر أبنيتها، وأوزانها المختلفة.

وذكر أسباب تصغير الأسماء ودلالاتها، مع بيان مواضع التصغير وطريقة التصغير.

وجاء موضوع النسب، وطريقة النسب، وأحكامه مشفوعا بالأمثلة الوافية.

وأخيرا ذكر موضوع الإضافة، والمراد بها هنا: نسبة اسم إلى آخر، نحوُ كتاب الطالب، وباب الدار، وعرّج على المضاف إلى ياء المتكلم، وشفعه بموضوع العدد، وأحكامه. مع أمثلة توضيحية.

بعد أن فرغ من الحديث عن تصريف الأسماء يمم شطر الأفعال، وأفاض في الحديث عن أقسامها المتعددة، إما بحسب الزمن فكانت ثلاثة أقسام: الماضي، والمضارع، والأمر، وبيّن كل مايتعلق بكل نوع منها، ثم تحول إلى الضمائر، وحكم تصريف الأفعال معها.

ومن أنواع الأفعال الجامد والمشتق، والمجرد والمزيد، وذكر أبنية كل منها مشفوعة بالأمثلة الوافية.

ومن حيث الصحة والاعتلال، نجد أن هناك أفعالا صحيحة، وأخرى معتلة، فقد تحدّث الفضلي عن أحكام كلٍّ منها، مع الامثلة التوضيحية.

وهناك أفعال لازمة وأخرى متعدية، وقد أوضح الدكتور الفضلي طرائق معرفة الفعل اللازم، وعلامته، وطرائق جعله متعديا.

وكان للفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول نصيب من عناية الشيخ الفضلي، فقد بيّن طريقة بناء الفعل للمجهول «المبني للمفعول» مشفوعا بالأمثلة الوافية.

وتوكيد الفعل المضارع له شروط ذكرها الفضلي، وأفاض في بيان طريقة توكيد فعلي المضارع والأمر مع أمثلة معززة.

والقسم الأخير جعله للتصريفات العامة، ذلك القسم الذي زاده في طبعة الكتاب الجديدة، وأراد

به موضوعات صرفية صوتية تمثلت في:

الإدغام، والإبدال وذكر حروفه، وقواعده، وتحول إلى الإعلال، فبعد أن عرّفه يمم شطر ذكر طرائقه الثلاثة وهي الإعلال بالقلب، أو بالحذف، أو بالتسكين، وقواعد كلٍّ منها، مع أمثلة توضيحية وافية.

وخصص جزءا من هذا القسم للحديث عن التعويض الذي يراد به زيادة حرف عوضا عن حرف آخر محذوف، وجاء له بأمثلة وافية.

وتحدّث عن همزة الوصل ومواضعها في الكلام، وختم كتابه المهم والمفيد بالحديث عن الوقف وقواعده. وقد أحسن صنعا « رحمه الله « بعمل ملحق لما ورد من كلمات بها حاجة إلى توضيح وتفسير.

وأخيرا أقول: لقد قدّم الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي خدمة جليلة، وأسدى لطلبة العلم معروفا لا تمحوه عوادي الأيام وصروفه، بأن أسهم في تيسير مادة الصرف للأجيال.

تذكرة الشيخ الفضلي في علوم العربية (المنهج وممكناته)

أ. د. رحمن غركان / جامعة القادسية - كلية التربية

* مقدّمة
- المنهج في كتب التذكرة.
- ممكنات العرض العلمي.
- ممكنات التوجيه التعليمي.
- الأسلوب في لغة التأليف.
- الموسوعية في الاختصاص.
- تنبيهات التذكرة.
- خلاصات.
* هوامش الدراسة.

مقدمة

هذه دراسة في كتاب (التذكرة في علوم اللغة العربية وآدابها) الصادرة عن دائرة معارف العلّامة الفضلي في طبعته الأولى سنة ٢٠٠٥م في بيروت. وتُعنى بتجربة المؤلف في هذا المتن الذي نهج فيه منهج الأقدمين في (كتاب التذكرة)، بوصفها اتجاهاً في التأليف، ومنهجاً في الجمع والقراءة والتوجيه. ينطوي على المفهوم الأخلاقي التربوي التوجيهي، والمفهوم العلمي الذي يقدم تجربة الراهن في الماضي تقدمة كشف واستشراف. ومصطلح (التذكرة) قرآني في مصدريته، ومعطياته، وجهات القصد منه، وعلمي تربوي أدبي متعدد المعطيات في التراث العلمي، ومنه الأدبي.

وقد ذهبت - هنا - إلى خمسة مطالب، واحد في المنهج، وأربعة في المتن الذي أقدّمه دارساً. وقد توزّع البحث بحسب هذا على خمسة مطالب هي: المنهج في كتب التذكرة. ثم عرضتُ لممكنات رئيسة توافرت عليها (تذكرة الشيخ الفضلي) هي: ممكنات العرض العلمي. وممكنات التوجيه التعليمي. وأسلوب المؤلّف في لغته الأدبية - النقدية. وممكنات النزعة الموسوعية في الاختصاص. والممكنات التنبيهية التي تحتقبها التذكرة في متبنياتها التأليفية.

وكتاب الدكتور عبد الهادي الفضلي (التذكرة في علوم اللغة العربية وآدابها) يجري على نهج السلف الصالح في تأليف يمثّل ثمار ما قرأ المؤلف مما يجد فائدة في تذكير المتلقي الكريم به من آراء علمية، وشوارد أدبية، والتقاطات نقدية، ولمحات تاريخية، ومواقف علمية نصّ عليها القائلون بها، وبدت للمتلقين مقولات مركزية، وغيرها مما يجد المؤلف أن في التذكير بها؛ بالإعادة والتنبيه والتحليل أحياناً حاجة ماسة

للقارئ الكريم، ولاسيما المختص. ويقول الفضلي في مقدمة كتابه: إنه ((من ألوان التذكرة؛ جمعته في أثناء قراءاتي في دفاتر وأوراق، تجاوزت عدّة النقول فيها ألف منقولة، غير أن تنقلاتي وهجراتي من بلد إلى آخر، وما طرأ على كتيباتي من الحدثان أضاع الكثير منها، ولم يبقَ إلّا هذا القليل الذي يضمه هذا الكتاب))[١].

وقد جمع فيه ثلاثمائة وتسعين تذكرة، تتوزّع متبنياتها على اللغة العربية وآدابها. أقلّها ما كان جملة من مثل التذكر التي ختم بها، تلك التي تقول: ((كلمة بابل أصلها: (باب إيل)، أي باب الله)، وأكثرها ما كان على مساحة أكثر من صفحة، فيعرض (النصّ الذي يذكّر به)، ورأيه فيه، أو ما خلص إليه غيره فيه مما هو محل إثراء أدبي أو علمي.

أولاً: التذكرةُ منهجاً

التذكرة في اللغة ضد النسيان، فهي مما يُستذكر بها، و هي مما يتذكر به الشيء[٢]، فهي حفظ لا يطاله النسيان، حفظ يبعث على الموعظة والتدبّر واليقظة بين يدي الموقف عند استدعاء المعاني.

وقد وردت لفظة (تذكرة) في القرآن العظيم في ثمانية مواضع، منها قوله سبحانه: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى • إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾[٣]، وتوحي - هنا - بمعانٍ كثيرة لعلّ أبلغها، أنها تعني ((إيجاد الذكر فيمن نسي الشيء، فإن كان الإنسان ينال حقائق الدين الكلية بفطرته كوجوده تعالى وتوحيده... كانت أموره مودعة في الفطرة، فبمجرد إخلاد الإنسان إلى الأرض، وإقباله إلى الدنيا، أنساه ما أودع في فطرته، فالقرآن نزل مذكراً؛ ليستذكر به مَنْ شأنه أن يخشى، فيؤمن بالله ويتقي))[٤]. تؤدي (التذكرة) في القرآن في المواضع الثمانية معنيين رئيسين مهيمنين، هما: الثبات على المعنى الذي لا يطاله النسيان، واستشراف الموعظة وتدبر العظة درساً ماكثاً في الوجود. ومع عدم النسيان يكون الذهن مستيقظاً، ومع الاستشراف يكون الحضور في الذهن ماثلاً عند العمل بالمعنى[٥]. وقد عني المعنى الاصطلاحي

لـ (التذكرة) بتمثّل ما توحي به آيات القرآن العظيم، فهو حاضر في الرؤية والعرض والمنهج.

وفي علوم الحديث النبوي الشريف كان مصطلح التذكرة جزءاً لافتاً في طروحات أهل هذا العلم، وصدرت مصنفات في هذا الشأن لعلّ أشهرها:

- (التذكرة في الوعظ) لأبي الفرج الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، وفيه عني بما يضاد النسيان، وبما يثمر في العقل حكمة وموعظة، جامعاً من متون كثيرة ما هو يناقض النسيان، ويثمر وعظاً، من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام السلف الصالح.

- (التذكرة في علوم الحديث) لابن الملقن، ونص المؤلف في مقدمته على أن ((هذه تذكرة في علوم الحديث، يتنبه بها المبتدي، ويستبصر بها المنتهي، فإنها جامع لفوائد هذا العلم وشوارده ومهماته وفوائده))[٦].

فالتذكرة في علوم الحديث النبوي الشريف، وعي يقبل على المعنى بما لا ينساه، ونظر وتدبر في النص والموقف والشاهد بما يأخذ العظة والعبرة والموعظة الحسنة ولا يفارقها، فهو توجّه تربوي في بناء العقل الإنساني.

أما الأصوليون فقد عرّفوا مصطلح التذكرة في (معجم مصطلح الأصول) على أنه ((أحد نوعي الكتابة في الرواية، ويراد به أن ينظر الراوي أو من مثله في المكتوب، فيذكر أو يتذكر به ما كان مسموعاً له، وبما أن النسيان لا يستطاع الامتناع منه إلّا بحرج بيّن، والحرج مرفوع، وبعد النسيان النظر في الكتاب طريق للتذكر، والعود إلى ما كان عليه من الحفظ، وإذا عاد كما كان، فالرواية تكون من حفظ تام))[٧].

أما الأدباء والكتاب فقد توسّعوا في (التذكرة) حتى صار عندهم منهجاً، وألّفوا فيها حتى صارت اتجاهاً في التأليف، يحتقب التذكر وعدم النسيان كما يحتقب الموعظة البالغة، والدرس الثمين الناصح في فنون الحياة وعلومها، كما في شؤونها وتفاصيل ما تعيشه العقول الفاعلة المؤثرة. وغلب عليهم أن يكتبوا في التذكرة بحسب ما يمليه الموقف والخاطر، وتستدعيه

الذاكرة اليقظة، مما يجدون به نفعاً لعقول الناس وتجاربها. وهو النهج نفسه الذي ذهب إليه الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي في كتابه الذي هو مادة هذه الدراسة (التذكرة في علوم اللغة العربية وآدابها)، فقد أخذ بما تمليه ذاكرته وذائقته وخاطره من دون أن يلتزم بمحدّدات منهجية صارمة. وهذا النهج نصّ عليه ابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) في كتابه الشهير (التذكرة الحمدونية)، إذ قال: ((قد أتيت من هذه الأخبار والأشعار في هذا الباب وغيره بآخر قبل أول، وبأول بعد آخر، ولم ألزم الترتيب في الشعراء وغيرهم، على قدر منازلهم وأعمارهم، لأني تبعت الخاطر فيما أملي... وليس في ذلك خلل يحلق الغرض الذي أممته... فهذا تذكرة للناسي، وتبصرة للساهي، وكل منهما يجد في هذا الكتاب لمراده مستمتعاً... فيستخرج منه أدباً يقدح من زناده قبساً... وحكمة يدعو إليها مرغباً، ومثلاً شروداً يورده دليلاً على ما جوري فيه، وشهيداً وحكاية يتمثّل بها... وأخلاقاً كريمة تحث على اقتفائها... أو لئيمة تنفر بقبحها عن احتذائها... وسِيَراً وأخباراً تتمثّل بمعانيها، وتروّي القلوب لتعي الذكر بالتفكير فيها، ونادرة يجلو بها صدأ القلوب))[٨].

ومن ثمة فإن المنهج في التأليف يتصل بتدبّر الموروث والنص المؤثر بعامة، ولا يعنى كثيراً بقراءته وتحليله كونه منهجاً في التأليف والتوليف، وليس منهجاً في التحليل النقدي، فهناك مسافة بعيدة بين مناهج التأليف في اللغة العربية وآدابها وعلومها، وبين مناهج نقد وتحليل النصوص والتجارب التي تتوفر عليها تلك اللغة في آدابها وعلومها، حيث نقف - نحن القراء - في مناهج النقد الأدبي التطبيقي عند نهر ضفتاه المتن المدروس والمنهج النقدي الذي يتعمق له بالقراءة والنقد والتحليل، لأجل الكشف عن عالم تجربته، وإظهار ما يميّزه، وما ينطوي عليه من سمات، وما يتصف به من خصائص أسلوب، وغير هذا الكثير الذي تكشف عنه تجارب ذلك النقد الأدبي التطبيقي مما يصعب وصفه وصفاً جامعاً مانعاً، ويتعذر إحصاؤه. أما مناهج التأليف في البحث الأدبي فهي إلى الجمع والتبويب، والقراءة

والتوجيه، والعناية بالتقسيمات التاريخية والموضوعية، والالتفات إلى البواعث المباشرة، والطروحات ذات العمق، والأقوال ذات التأثير أقرب منها إلى التحليل النقدي الملتزم بمنهج معين؛ قديم أو مستجد. في التأليف الأدبي يجتهد العلماء والباحثون والدارسون والقراء في النظر إلى عالم التجارب، بعناية الراصد المؤرخ، لا الناقد المحلل، وبعين الموثق المستنتج الباحث، لا القارئ المأخوذ بعمق ما ينطوي عليه النص؛ تأويلاً واستنتاجاً وكشف ممكنات كشفاً قائماً على أسس من تحليل. في مناهج البحث الأدبي تتقدم التعليمية على التحليلية، والعقلية الموجّهة على التحليل ذي الرؤى المتسعة، والمنهجيات المستجدة، وفي مناهج البحث الأدبي عناية بالموضوعي والتفات إلى الفني، وعناية بالآخر الماضي والتفات إلى ما يمكث في الذاكرة منه، وثراء التنبيه إلى المؤثر الملهم من النصوص والتجارب أكثر من العناية بعمق التحليل النصي، وإنْ ألمح المؤلّف إلى ذلك.

في مناهج النقد الأدبي نكون أمام النقاد المحترفين ذوي المناهج المستجدة، ولا أجد انطباقاً لصفة (ناقد أدبي) على قارئ لم يجتهد باجتراح منهج أو تطويره، ولذا يقل النقاد جداً، حتى لا نكاد نجدهم في بعض عصور الأدب العربي إلّا لماماً.

وهنا تشيع مناهج البحث الأدبي التي تمثّل إحدى عيني البصيرة النقدية، إذ لا تكتمل الرؤية لدى المتلقين بعامة من دون الاطلاع على تجارب العلماء والباحثين والدارسين والقراء في (مناهج البحث الأدبي)، ومنه التأليف، ثم في تجارب النقاد في (مناهج النقد الأدبي)، ويغلب على جهود العلماء، ومنهم الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي التأليف في مناهج البحث الأدبي، لأن شمولية العلماء - وبخاصة بقية السلف الصالح - تُعنَى بهذا، وتذهب إليه نهجاً في التوجيه، ومنهجاً في التلقي والتعليم.

ومن ثمة فإن مصنفات القدماء والمحدثين في (أدب التذكر) تؤلّف منهجاً في البحث الأدبي، لا النقد الأدبي، ولهذا المنهج مقاييسه الشمولية التي تتسع - في حقل اللغة - للعلوم اللغوية، وآداب التأليف فيها، لذا تذهب إلى

مقاييس في نقد المضمون الأدبي يشمل المتضادات غالباً مثل: (الصحة والخطأ)، و(الصدق والكذب)، و(الابتكار والتقليد)، و(الالتزام والتمرد)، و(الاستيفاء والاجتزاء)، و(الغربة والمألوفية)، و(الغموض والوضوح)، و(الجودة والرداءة)، وغيرها مما نجد كل مَنْ كتب في (أدب التذكرة) يعنى بها، ومنهم الشيخ الفضلي في كتابه هذا. أما مقاييس من كتب في (أدب التذكرة) معنياً بالنقد اللغوي في سياقات مناهج البحث الأدبي، فقد التفتوا إلى لغة التأليف ليس في المنهج ومصطلحاته بقدر العناية باللفظ في سياقاته النصية في عالم الكتابة، لذا خصّوا مقاييس جودة الكلمة المفردة بالعناية والتوضيح، وكذلك بنية الكلمة، وسياقاتها النصية، والغريب في مواضع استعماله، والأساليب الرئيسة في تركيب الكلام، تلك التي خصّها (علم المعاني) بعناية علمية لافتة. وهكذا التفتوا إلى مقاييس نقد الأسلوب في رسم الصورة الفنية أو التعمق لتعبير المعنى الدلالي، والالتزام في كل ذلك بالثابت المستقر في علم الأسلوب، وهم في كل ذلك يعنون بأن يخصّوا كل فن بما يميزه. ولم تغب عنهم الظواهر النقدية لا على مستوى التحليل، إنما على مستويات حضورها وشيوعها في مؤلفات المشتغلين بعلوم اللغة وآدابها، ولاسيما أهل التجارب اللافتة. وقد خصّوا بعض الظواهر بالعناية، كالسرقات الأدبية مثلاً. وبدت عنايتهم بفنون النثر التي تشيع في حياة الناس، مثل: الخطب والرسائل والحكاية والأمثال والنوادر والوصايا والأخبار، لذا كانت منهجية التأليف في (أدب التذكرة) ذات نفع ثقافي عام.

ثانياً: ممكنات العرض العلمي في (التذكرة)

تتضمن (التذكرة في علوم اللغة العربية وآدابها) للعلّامة الفضلي ممكنات عرض علمي، يجعل القول بمنهجيتها العلمية شأناً ذا أسس وضوابط ومرجعيات، فمن أسسه أنه جرى مجرى القدماء في هذا الشأن، وسلك سبيلهم، حيث نص في المقدمة على ((أن الكتاب نمط من أنماط التأليف عند المثقفين العرب، يضمنه مؤلفه ما يقف عليه أثناء قراءته من نوادر علمية، وشوارد أدبية، ولمحات

تاريخية... وسمّيت (تذكرة)، لأنها تذكر صاحبها، ويستذكر بها بغيته، مما فيها من نصوص... فهي على نمط تأليف كان معروفاً في العصر العباسي، من ذلك (تذكرة) ابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ)، و(تذكرة) صدر الدين علي خان المدني (ت ١١٢٠ هـ)... وهذا الكتاب من ألوان ذلك التأليف))[٩].

فمقياسه الأول نهج القدماء في هذا الاجتهاد من التأليف، لما يتوافر عليه من تنبيهات علمية، وتوجيهات تربوية، ورؤية في مناهج التأليف الأدبي قديماً، ومن ثمة حديثاً أيضاً. وفي التذكرات الـ (٣٩٠) يقف المتلقي على مقاييس للعرض العلمي في (التذكرة الفضلية) تقوم على الإيجاز والتكثيف المنطويين على عرض علمي، في حقل تخصص يذهب إليه الكاتب. وقد توزّعت التذكرات على الحقول الآتية:

١- علم النحو في التقاطات لافتة ذات نفع تعليمي مباشر، من ذلك استهلاله (التذكرات) بـ شاهد نحوي على دخول الكاف على ضمير الرفع المنفصل مستشهداً بقول الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام): ((ويحكَ إني لستُ كأنت))[١٠]، ويعرض لنصوص هي شواهد على مسائل في النحو، أو قضايا نحوية، أو مما تمس الحاجة إليه في علم النحو للمبتدئين والمتقدمين كونه يقدم المعلومة بكيفية عرض يسير سهل مبسط.

٢- علم اللغة، حيث يورد تذكرات في هذا الحقل تمس الحاجة إليها، علمياً وتاريخياً، من ذلك أنه يعرض للغات السامية في التذكرة الثانية عرضاً علمياً تعليمياً موزعاً إياها على: أكدية وبابلية وآشورية، ثم آرامية، ثم عربية، ثم حبشية، ثم كنعانية تشمل (الفينيقية والعبرية)، ثم يقسم العربية على شمالية وجنوبية، مفصلاً في تفرعات كلّ منهما[١١]، لأنه يُعْنَى في متبنياته المنهجية بالأصول المؤشرة، وما يتفرع عنه، والثوابت في الكلام كما في الأنام، وبما يمكث في الأرض منها.

٣- علم الصرف في بعض قواعده، ومحدداته، في خلال تذكرات تنطوي على النصح العلمي، والتوجيه التعليمي، حتى في الغريب اللافت، كقوله: ((كلمة (جاهز) غير موجودة في العربية، والصحيح (مجهز)، وما يذهب

إليه في تذكرة أخرى مما يتصل بإبدال المضعّف بعد فك الإدغام، وفي كل اسم ثلاثي ساكن الوسط يجوز تحريكه بالفتح[١٢]، وغير ذلك من طروحات (الصرف)، ومسائله، وبعض نوادره؛ لعنايته بالبنية الصوتية - الدلالية - الصرفية للكلمة، لأن الصرف والنحو علمان يتعذّر الاستغناء عنهما، وتمسّ الحاجة إليها وجودياً وجوباً.

٤- علم البلاغة، حيث عني بإيراد (تذكرات بلاغية)، من ذلك في الكناية قوله في لفظ (خفة الظهر) إنه لفظ بلاغي - بياني يستعمل للدلالة على (قلة الأولاد)، وهو فيها صادر عن الجاحظ في كتابه الشهير (البخلاء)[١٣]، ومن نماذج ذلك ما أورده عن ابن رشيق في العمدة في باب الحذف الذي يدلّ عليه بالإشارة، وهو من الشعر الشفاهي البصري المباشر الذي ترد القافية فيه غير منطوقة لفظياً، بل هي إشارة في ارتجال أبي نواس[١٤]:

ولقد قلتُ للمليحة قولي:
من بعيد لمن يحبّك... (إشارة :.. قبلة)
فأشارت بمعصم ثم قالت:
من بعيد خلاف قولي... (إشارة : لا... لا)
فتنفّسْتُ ساعةً ثم إنيِّ
قلتُ للبغل عند ذلك... (إشارة :.. امشِ)

والحذف في البلاغة أسلوب دلالي عميق الإيحاء، ولاسيما أن الشيخ الفضلي يتبنى الرأي القائل (بأن البلاغة الإيجاز!!) عناية منه بإيراد الكلام على قدر إحاطته بالمعنى، والتزام أساليب ذلك المتوارثة منها والمستجدة.

٥- علم الدلالة مما عني به عرضاً لشواهد، وقراءة تعليمية في نماذج، سواء ما اتصل منها بالألفاظ على مستوى المعجم، أو التطور الدلالي للألفاظ، وما استجد فيها من دلالات ومعانٍ، وبدت الأخبار والآراء مصادر له في استدعاء المعلومة والقول بها والبناء عليها في: أسماء الأعلام والمدن والشواهد والمعارك وغيرها[١٥].

٦- وبالمجمل، فقد استوفى علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها استيفاء الطبع الصافي، والوعي اللغوي النافذ، والمستدل على الراهن الثابت من وعي الماضي، وما كان مستجداً معاصراً، حتى ليجد الأديب والمعني باللغة العربية زاداً علمياً منتمياً لعلم من العلوم، أو حقل

معرفي منها، وهكذا في الظواهر اللغوية والأدبية والنقدية، سواء ما اتصل بتاريخ الأدب ومناهج البحث فيه، أم بتاريخ النقد الأدبي ومناهجه التطبيقية، وهنا عني بالقديم، ولم يلتفت للحديث إلّا لماماً أو ضمناً، لأنه مأخوذ بالتوجيه العلمي الذي ينطوي على ثقافة ذات توجيه تربوي، ومعنيّ بما يقيم العقل والوعي بمكناته في ذاك الهائل الذي استقام به علم السلف، ومن بعْده يصير المرء المتعلم إلى مستجده الراهن؛ إذ يُعْنَى العلّامة الفضلي بالأسس من كلّ علم، وبالمقومات الأسلوبية من كلّ فن، وبالمستقر المثمر الملهم من الطروحات.

ثالثاً: ممكنات التوجيه التعليمي

وأذهب - هنا - إلى نزعة (التذكرات) في توجيه المتلقي إلى روح العلم لا إلى جسده، وإلى الحيوي الذي به يقام نظام الكلام والعلم والفن، لا إلى مجرد العرض العابر، ولذلك هو يذكّر بالغاية من علم النحو أكثر من الإحاطة الآلية بأنظمته وقوانينه الهائلة، حتى تبنّى قول جمال الدين الأفغاني: ((إنّ المقصود من النحو أن يكون آلةً،فصيّره جمود النحاة غاية))[١٦]، وقول الأفغاني أيضاً أن ((العربية وسّعها البدو في البراري، وضيّقها الحضر في المدن والأمصار))[١٧]، وهي مقوله يتناص فيها الأفغاني مع ابن سنان الخفاجي في قوله: ((العرب سقوفهم السماء وصحونهم البوادي...))[١٨] في الدلالة على سعة المكان، والاستغراق في الزمان، ومن ثمة تمكّن الوعي باللغة عندهم من التعبير عن كل ذلك بثراء أتاح للسانهم أن يثرى، وأن يزدهر.

يتمثّل إمكان التوجيه العلمي في تذكرات الفضلي في العناية بروح العلوم من دون أن نغادر ما تنطوي عليه ممكنات الجسد من العلم من إشارات كاشفة، ودلالات معبرة، ولهذا يعرض لمفاتيح العلوم انطلاقاً من المصطلحات عرضاً دلالياً دقيقاً، كما في مصطلحات (الصوت، والنحو، والقراءات، والبلاغة،...) على نحو يستلهم ما تسع، ولا يجدها تقيّد ما تحدد[١٩].

من ممكنات التوجيه العلمي عند الفضلي نشر المعلومة عن مصادر أو مراجع ذات رؤية لسانية مستقرة غير

مرتجلة، من ذلك (تذكراته) في الألفاظ، منها الأسماء بشكل خاص، كما في توجيه أن (الأصل في كلمة (بابل) أنها تعني (باب إيل)، أي باب الله)[٢٠]، وهكذا في كلمة (جاهز) مع أنها بحسب مصطفى جواد ((غير موجودة في العربية، والصحيح فيها (مجهز)، وجاهز بمعنى ذو جهاز، يصح قياساً على كاتب بمعنى ذو كتابة))[٢١]، وهكذا في كلمة (درهم) وأصلها اليوناني (دراخما)، وكلمة (نقاب) في الدلالة على أن تنتقب المرأة موضع العين منها. وفي كلمات: (خميس)، و(ناهيك)، و(ليس)، و(الله) و(الرحمن)[٢٢]، وغيرها من هائل الكلام العربي.

ومن ممكنات التوجيه العلمي عنده القول بالقياس اللغوي رافداً من روافد إثراء اللغات، متبنياً قول المازني: ((إنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم))[٢٣]، ولشيوع ذلك فهو يتبنى القول بأنّ العربية (مصدر للساميات) ((كونها اللغة التي أوتيت أضخم أدب، لهذا فإنها عند الضرورة، تفيد عند البحث عن استشهادات لإثبات وجود صيغ لغوية سامية مميزة للسامية))[٢٤]، لأن من سمات عالمية اللغة العربية انتشارها لدى شعوب وأمم وأقوام انتشاراً أقاموا به وجودهم الحضاري، وتغذّت على إثره اللغة بثراء لساني، وتوجيهات دلالية، وعمق إيحاءات صارت ممكنات علميتها تستجيب للعلوم المستجدة، والشعوب والأمم المستضيئة بها، والأثرى في ذلك استجابتها للعمق الوجداني الديني بدءاً من القرآن، والوجداني العاطفي، العقلي كما في الآداب والفنون، وللثراء العلمي التطبيقي في العلوم الصرفة تعريباً وترجمة واجتراح مصطلحات مستجدة. ولاسيما أنه يتبنى (العربية اللسان) كما تتجلّى على ألسنة الأدباء ومنهم الشعراء، لا كما تقرها طروحات النحاة على أهمية العقل العلمي النحوي، ولذا فهو يتبنى قول السيوطي: إنّ المتنبي الشاعر العظيم (هو من علماء العربية)[٢٥].

ومن ممكنات التوجيه العلمي في تذكرة الفضلي توجيه ما يعدّه تشدداً لغوياً لدى بعض أهل العلم بالعربية كقولهم: إن (المنتزة) من أغلاط المتأخرين، والصواب (المتنزة)، فيقول الفضلي: ((إن إنكارهم مبني على خلوّ المعاجم منها، ومن فعل (انتزه)، ولكنها

واردة على ألسنة المتقدمين، وفي بعض أشعارهم كقول أسامة بن مرشد، وهو من المولّدين:

ما بعد جلّق للمرتاد منزلة
ولا لسكانها في الأرض سُكّانُ
فكلها لمجال الطرف منتزهٌ
وكلهم لصروف الدهر أقرانُ))[٢٦]

لأنه يُعْنى بالثوابت التي تستجيب لحركة المتغيرات وتغنيها، ويلتفت إلى ما يقيم المعنى إقامة علم ذي أصول، وينظر بعين الممتد في الزمكان، وليس بعين ذي الأفق الضيق، لذا تتسع ممكنات التوجيه العلمي عنده.

رابعاً: ممكنات الأسلوب في لغة التأليف

يمثل الأسلوب طاقة الممكنات التي يعنى كاتب (التذكرة) بعامة بالإشارة إليها؛ تنبيهاً أو كشفاً، لأنه يصدر عن التجارب ذات التميّز لدى المنشئ إلى أسلوبية القراءة لدى المتلقي، حيث الأسلوبية ثقافة قراءة الأسلوب الذي يثري التحليل ويثرى به كلما كان ذا ممكنات لافتة، ومن ذلك أن ممكنات الأسلوب القرآني تستجد وتتجدد، وتتيح للقراءة النقدية أن تطل معها كل جيل أو عصر على جديد من (أسلوبية).

ويجد المتلقي أن (أسلوب لغة التأليف) هو الدافع الأوضح لكتب (التذكرات) عند القدماء منهم والمعاصرين، لأنهم يحتفون من الكلام بما كان ذا ممكنات أسلوبية بين يدي القراءة والتحليل، أما الأساليب التقليدية، أو تلك التي ينسجها كتّابها على وفق مَنْ يقلدونهم، أو ينتظم الكلام عندهم انتظام حمْلٍ سطحي للمعنى، لا يتلمس فيه المتلقون ثراء الاستجادة، فإنها أساليب قلّما التفت إليها أصحاب التذكرات، لذلك أظهرت مصنفاتهم في (منهج التذكرة) عناية بالمقاييس الأسلوبية تفصح عنها اختياراتهم من جهة، ونهجهم في الكتابة من جهة أخرى، ولذا يلحظ القارئ عناية بمقاييس نقد الأسلوب التي نقرأ منها في (تذكرة الفضلي): أن أسلوب الجملة الفعلية في اللغة العربية أكثر استعمالاً من الجملة الاسمية بالاستقراء[٢٧]، لأن الاسمية تمكث فيها الدلالة استقراراً، وتدل على الثبوت تقريباً، واللغة العربية لغة استيعاب يحتوي الزمكان بفاعلية غير ساكنة، وتأتي الاسمية في السياقات التي

يستدعيها معنى الديمومة في المعنى الذي يفصح عنه الأسلوب الاسمي.

ومن مقاييس نقد الأسلوب في التركيب الدلالي تأكيد الفضلي رأيَ الزمخشريّ في المفصل الذي (يرى أن علم النحو هو الإعراب)[٢٨]، وهو ينظر - هنا - إلى أسلوب تركيب الجملة إعرابياً كون ذلك خصيصة مائزة في اللغة العربية، فهي لغة معربة تصدر الأساليب فيها عن هذه الخصيصة، ويستجيب أسلوب التركيب لمقتضيات المعنى بوحي من ذلك الإعراب الذي ينظمه النحو.

ومن مقاييس الأسلوب عند الفضلي تمييز المطبوع من المتكلّف، ويجد في التكلّف نفوراً، لأن الغرابة تنأى بالمعنى عن الأذهان، وقد استشهد باستعمال صفي الدين الحلي للغريب الوحشي بوصفه أسلوباً متكلّفاً، لا يجد في شيوعه إضافة أدبية[٢٩]، لأنه يعنى بالمعجم الميسور الواضح السهل الشائع، وينأى عن الغريب الوحشي إلّا في سياقات خاصة نادرة.

ومن مقاييس الأسلوب عنده استحسان المطبوع ذي البث العاطفي المباشر، واللغة الجزلة ذات الصور البيانية التي تتناسب مكوناتها جمالياً، من ذلك ما كان من استحسان المتنبي لقول ابن عبد ربه الأندلسي[٣٠]:

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا
ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلهِ
دراً يعودُ من الحياءِ عقيقا

وهو نصّ في الغزل مبني على الصور الاستعارية بناءً يأخذ بما تواضع عليه ذوقهم الشعري، ونص عليه عمود الشعر - بحسب المرزوقي - بعد المتنبي من ((مناسبة المستعار له للمستعار منه، والمقاربة في التشبيه، وجزالة اللفظ واستقامته))[٣١].

ومن مقاييس الأسلوب عنده أنه يتبنى رأي السلف في الإيجاز، وعند الضرورة إطناب يستدعيه المعنى ومقام الإقناع، وتتعدد التذكرات التي تقول بهذا، أو توحي به بأشكال وطرائق متعددة.

ومن مقاييس الأسلوب عنده ضرورة التناسب بين اللفظ والمعنى بحسب ما استقرت عليه مقولات السلف وطروحاتهم، ويقرأ المتلقي

ذلك مبثوثاً في تذكراته، سواء التي يفصّل فيها، أو تلك التي تُعنى بالإيجاز كثيراً.

ويقف المتلقي في (تذكرة الفضلي) على مقاييس الأسلوب في ممكناته الموروثة؛ تناسباً بين الألفاظ والمعاني، وبين أسلوب التصوير والمعنى الشعري الذي يؤديه، وبين الأسلوب وانتظامه في النسج الدلالي والإعرابي المستقر في العقل النحوي العربي.

خامساً: الموسوعية في الاختصاص

هي من ممكنات (أدب التذكرة)، ومما توافر عليها الجهد العلمي للشيخ الفضلي هنا، وأذهب بها إلى أن متن التذكرة يتضمن علوماً في اللغة وآدابها وفنوناً في مشارب هائلة التعدد، لا غنى عنها للمتلقي العام، أو أهل الاختصاص الدقيق؛ وهي بقدر صدورها عن ذائقة (مؤلف التذكرة) إلّا أنها تستوعب أفقاً موسوعياً لا تكاد تغيب عنه المفاصل الحيوية والمقومات الرئيسة المهيمنة في هذا الفن أو ذاك الجنس الأدبي، لأن المؤلّف يستجيب لما تمس الحاجة له، أما في علوم اللغة فيعنى بثوابتها الراكزة التي تقوم بها، وتنبني عليها، حتى إذا تصفحنا (تذكرات الفضلي) الثلاثمائة والتسعين تبدّت لنا الممكنات الموسوعية التي تضمها في حقل الاختصاص العام أعني: (اللغة العربية في فنونها وآدابها وعلومها) في ما يأتي: (علم النحو) في ثوابته الهائلة، وسعة الاجتهاد فيه، حتى حين تحوّل عند بعض النحويين من كونه وسيلة إلى كونه غاية، و(علم اللغة) في طروحاته التاريخية والدلالية والعلمية الصرفة، سواء المتأصّلة في علوم العربية، أم المرحلة من علوم أخرى، أم المستدعاة بالتأثير من لغات غير العربية، و(علم الصرف) في مقولاته البنائية على مستوى الكلمة الواحدة، وما يطرأ عليها من تصريفات يتحول على إثرها المعنى، وتتغيّر معطيات الدلالة على إثرها في النص، و(علم الخط والإملاء) في قواعده التي تجعله علماً، وفي ملاحظه الاجتهادية التي تجعله فنّاً، و(علم التحقيق) في تجارب المشتغلين به، وما يعانون من تباين الخطوط وتعدد المخطوطات، وما ينطوي عليه العلم من خزانة خبرات لافتة تمس الحاجة لها مع وجود ملايين المخطوطات

العربية غير المحققة، وعلم التجويد. وعلم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الدلالة، وعلم الصوت، وعلم العروض، وعلم القافية، وفنون الشعر، وفنون السرد والأخبار والسير والتراجم والأمثال، وموقف الإسلام من الشعر، ومستجدات كلّ فن تقريباً، واللافت من الأخبار والآراء والطروحات في كلّ ذلك. وبالمجمل فإن الممكنات الموسوعية التي تتوافر عليها (التذكرة الفضلية) على مساحتها النصية غير الكبيرة، كونها جزءاً مطبوعاً من كلٍّ غير مطبوع تنبي عن سعة ذات شمول، وعمق ذي قصد، وآراء ذات حضور، لأن (عالم التذكرة) في أبعاده: العلمية والتعليمية والوعظية وغيرها تستدعي هذه الموسوعية، وتتطلبها كونها خلاصة خبرة، وثراء وعي، وسعة تجربة.

سادساً: تنبيهات التذكرة

وأذهب بـ (تنبيهات التذكرة) إلى المتون النوعية التي اختارها المؤلف، أو اصطفاها، أو قال بها من لدنه، وهي تقوم على تنبيهات ذات تأثير بما تتضمنه من عمق في الطرح العلمي، وخصوصية في النظر، وبعضها لافت (يغرّد فيه قائله خارج السرب العام، وينشد غير المألوف)، وهذا يتضمن التنبيه إلى جديد، وقد يكون ملهماً في التوجّه نحو مرادات مستجدة لدى مَنْ يقرأ، أو توحي لمتلقٍّ ما بتسديد لم يتنبّه إليه سواه، ونزعة التنبيه من ممكنات (أدب التذكرة)، لأن الاختيار فيها ذاكرة يقظة عند المؤلف، وتنبيه من لدن الذي اختار، ولكنهما معاً يصيران عنصر إلهام في وعي قارئ مستقبلي نافذ البصيرة. ومن تنبيهات الفضلي التي صدر فيها عن الشيخ أمين الخولي في بحثه (الاجتهاد في النحو)، حيث قال: ((إن اللغة ظاهرة اجتماعية لم يضعها الأفراد، ولكن خلقتها طبيعة الاجتماع، ولم ينظمها العقل الفردي، بل أشرف عليها عقل الجماعة التي لا تدرك الأدلة المنطقية بحال، بل التي يصح فيها القول بأنها لا تعقل، ولا تتأثر بالمعقول، والدرس اللغوي يطمئن إلى أن التغييرات اللغوية تتم بطريقة آلية مستقلة عن إرادة المتكلم بها، بل بغير شعور منه، وأن تطور اللغات يتم بفعل تيارات اجتماعية مسيطرة))[٣٢]، وهذا (التذكير) من لدن الفضلي لما قاله الخولي، تنبيه إلى

أن اللغة إنتاج جماعي في الشيوع لدى الاستعمال من لدن المتكلمين بها، وغير المتكلمين الذين تترجم لهم اللغة، لأن تأثيراً متبادلاً يحدث بين اللغة المترجم منها وتلك المترجم إليها. ولكن اللغة إبداع فردي في التفكير والتصوير والتعبير في أساليب المؤلفين وبخاصة الأدباء ومنهم الشعراء؛ و(أدب التذكرات) ينبّه إلى هذا، سواء في مؤلفاته الموروثة، أم في مصنفاته المعاصرة، مثل (تذكرة الشيخ الفضلي)، وفي الموجز من هذا التنبيه؛ فإن اللغة إنتاج جماعي في الشأن الوظيفي العام، ولكنها إبداع فردي في الشأن الفردي الخاص. ويعنى (أدب التذكرة) بالجمع بينهما؛ تنبيهاً وتوجيهاً، باستدعاء متون خلت، ولكنها ماكثة في النفع، وبتوظيف طروحات وآراء مضت، ولكنها نافعة ملهمة ذات ثمار. ولذا لا يستغني المتعلمون بخاصة عن هذا النوع من الأدب، وهذا المنهج من التأليف الأدبي، على الرغم من هيمنة النقل والتوظيف والتناص على هائل (تذكراته الأدبية).

خلاصة:

(أدب التذكرة) نوع قائم على استدعاء النص الماضي المؤثر، والمعاصر المثمر استدعاءً من تضمين أو توظيف أو تناص على وفق منهج في التأليف الأدبي لا النقد الأدبي، لأنه يعنى بالتوجيه والتذكير الباعثيين على الإلهام أكثر من التحليل النصي الصادر عن منهج محدد في التطبيق النقدي. ولأنه يتوافر على ممكنات كثيرة من ثمار النزعة الموسوعية في حقل (اختصاص التذكر العام) في علوم اللغة وآدابها، فقد عنيت هذه (الدراسة الموجزة) بإيضاح صورة المنهج في هذا النوع من التأليف، ثم بقراءة الممكنات التي يزدهر بها جهد المؤلف، وهنا خصّت الدراسة أربعة ممكنات هي: العرض العلمي، والتوجيه العلمي، والأسلوب في لغة التأليف، والنزعة الموسوعية، ونزعة التنبيه الباعث على الإلهام أحياناً.

في منهج التذكرة سَعةٌ في العرض، وفي نصوصها تكثيف وإيجاز معنيان بالإيحاء بالفكرة أو الرأي إيحاء تنبيه وتذكير.

وهو منهج علمي تعليمي في آن معاً، وسعة ما ينطوي عليه المتن تذكير قائم على التعدد الذي يؤول إلى نهر رئيس واحد.

هوامش الدراسة وبضمنها المصادر و المراجع:

١- التذكرة في علوم اللغة العربية وآدابها، د. عبد الهادي الفضلي، ص٨.

٢- ينظر، أساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٣١٤، ولسان العرب، ابن منظور، مادة (ذكر).

٣- طه، آية ٣.

٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٤/ ١١٨- ١١٩.

٥- ينظر؛ الكشاف الزمخشري، ٢/ ١٠٧٩، ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ٩/ ٢٨٧.

٦- التذكرة في علوم الحديث، ابن الملقن، ص٢٧٦٣، بتحقيق، علي حسن عبد الحميد، دار عمار، ط١، الأردن، ١٩٨٨م.

٧- معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال، ص٨٠- ٨١، دار الجيل، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

٨- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، ت إحسان عباس، ٢/ ١٦- ٢٢، دار صادر، ط٢، بيروت، ٢٠٠٩م.

٩- التذكرة في علوم اللغة العربية وآدابها، د. عبد الهادي الفضلي، ص٧- ٩، منشورات دائرة معارف العلامة الفضلي، ط١، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م.

١٠- التذكرة، الفضلي، ص١١.

١١- نفسه، ص٢-٣.

١٢- نفسه، ص١٢- ١٥.

١٣- نفسه، ص١٦، وينظر: البخلاء، الجاحظ، ٢/ ١١٩.

١٤- نفسه، ص٤٩، وينظر: العمدة، ابن رشيق، ١/ ٢١٢.

١٥- نفسه، ص٤٣- ٤٤.

١٦- نفسه، ص٤٨.

١٧- نفسه، ص٤٨.

١٨- سر الفصاحة، ابن سنان، ص ٩٨.

١٩- ينظر، التذكرة، الفضلي، ص٧٠- ٨٠.

٢٠- التذكرة، الفضلي، ص١٢٠.

٢١- نفسه، ص١٣- ١٤.

٢٢- ينظر، نفسه، ص١٨- ٤٤، ٤١، ٣٩.

٢٣- نفسه، ص ٨٨.

٢٤- نفسه، ص ٨٧.

٢٥- نفسه، ص٨٥.

٢٦- نفسه، ص٦٨.

٢٧- نفسه، ص١٤.

٢٨- نفسه، ص١٥.

٢٩- نفسه، ص٢٠.

٣٠- نفسه، ص٥٦.

٣١- شرح المرزوقي على حماسة أبي تمام، ١/ ١٥.

٣٢- الاجتهاد في النحو، أمين الخولي، ص٩، وينظر: تذكرة الفضلي، ص٥٨.

الدكتور عبد الهادي الفضلي وجهوده في تحقيق المخطوطات

أ.د محمد نوري الموسوي / جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين وبعد:

فهذه مقالة كتبتها على عجالة، تعرضت فيها لحياة علم من أعلام الفكر والأدب والتحقيق ألا وهو الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمه الله، وتطرقت فيها إلى ذكر أمرين الأول: حياته بشكل مختصر، وذلك لتعريف القارئ الكريم بهذه الشخصية الفذة البارزة، والآخر: ذكرت فيه جهوده في تحقيق المخطوطات، وهذا الأمر تطلب مني أن أقسمه على قسمين ذكرت في الأول منهما الكتب التي حقَّقها مرتبة حسب حروف المعجم، وذكرت في الثاني منهما الكتب التي ألفها في بيان قواعد تحقيق المخطوطات، ومن ثم ذكرت خاتمة موجزة، أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وُفّقت في عرض جهود هذا العالم المحقق الجليل رحمة الله تعالى عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

أولا: سيرة الشيخ الفضلي

هو عبد الهادي بن ميرزا محسن بن الشيخ سلطان[١]، ويلقب بالفضلي نسبة إلى فضل بن ربيعة، أبي قبيلة الفضول المعروفة التي هي بطن من بطون طيّئ[٢].

الشيخ الفضلي سليل العلماء؛ إذ كان جده الشيخ سلطان من أهل العلم، تلمذ على يدي السيد هاشم آل السيد سليمان، والشيخ محمد حسين أبي خمسين، وهما من فقهاء الإحساء بالسعودية[٣]، وكان والده الميرزا محسن من الذين درسوا في حوزة النجف الأشرف أكثر من عشرين سنة حتى بلغ رتبة الاجتهاد[٤].

ولد الشيخ الفضلي في البصرة سنة ١٣٥٤هـ١٩٣٥م[٥]، ونشأ فيها يتعلم القرآن الكريم في الكتاتيب، ومن الجدير بالذكر أن والده أقام في البصرة عالما دينيا ووكيلا عن المرجع السيد أبي الحسن الأصفهاني (قد)[٦]، ولهذا كانت ولادته في البصرة.

تخرج الشيخ الفضلي في كلية الآداب جامعة بغداد حاصلا على شهادة الماجستير في اللغة العربية عن رسالته الموسومة بـ (أسماء الأفعال والأصوات دراسة ونقد)، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة عن أطروحته الموسومة بـ (قراءة ابن

كثير وأثرها في الدراسات النحوية).

انتقل الشيخ الفضلي إلى الرفيق الأعلى سنة ٢٠١٣م، ١٤٣٤هـ وشُيّع ودفن في «سيهات» شرقي السعودية. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

للشيخ الفضلي مساهمات علمية كثيرة؛ فقد قضى شطرا كبيرا من عمره في التأليف وتحقيق المخطوطات، وسنقتصر على ذكر تحقيقاته للمخطوطات، وذلك لأن مقالنا مختص بهذا الجانب. من الكتب التي حقّقها[٧]:

١- إتحاف الأنس في العلمين واسم الجنس للأمير.
٢- إعراب سورة الفاتحة للجنزي.
٣- بداية الهداية للويمي.
٤- البصروية في علم العربية للبصروي.
٥- درة القارئ للرسعني.
٦- زلة القارئ للنسفي.
٧- شرح الواضحة في تفسير الفاتحة للمرادي.
٨- طريق استنباط الأحكام للكركي.
٩- الناسخ والمنسوخ لابن العتائقي.
١٠- هادية الناسكين للنجفي.

وهذه القائمة من الكتب التي حقَّقها تدل على تضلعه في التحقيق ومهارته، وشغفه وحبه لهذا الفن العزيز.

ثانيا: الكتب التي ألفها في قواعد تحقيق المخطوطات

ألف الشيخ الفضلي كتابين في بيان قواعد تحقيق المخطوطات.

١- كتاب تحقيق التراث

٢- محاضرات في أصول تحقيق النصوص هي عبارة عن أمالي الدكتور مصطفى جواد .

وسنتحدث عن الكتاب الثاني فقط لأن المجال لا يسع.

محاضرات في أصول تحقيق النصوص هي عبارة عن أمالي الدكتور مصطفى جواد أملاها على طلابه، فقام مجموعة من الطلاب النابهين بكتابة هذه الأمالي ونشرها، إذ حظيت هذه الأمالي بعناية تلاميذ الدكتور مصطفى جواد؛ إذ صدرت هذه الأمالي بثلاث طبعات مختلفة: الأولى أمالي الدكتور مصطفى جواد للدكتور محمد علي الحسيني، والثانية أمالي الدكتور مصطفى جواد للدكتور عبد الوهاب العدواني، والثالثة محاضرات في أصول تحقيق النصوص للدكتور عبد الهادي الفضلي، وجُمعت حديثا في كتاب واحد بعنوان أمالي الدكتور مصطفى جواد في

التحقيق وفقه اللغة قام بجمع هذه الإملاءات الثلاثة وأعدها للطبع حسين منصور الشيخ، والأخيرة محل كلامنا.

افتتح الدكتور الفضلي هذه الأمالي بمقدمة قال فيها: (هذه محاضرات في أصول تحقيق النصوص أملاها العلّامة الباحث أستاذنا الجليل الدكتور مصطفى جواد على طلبة ماجستير اللغة العربية بجامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٦٦-١٩٦٧م، وكنت احدهم، وقمت بتدوينها شأنهم في ذلك، وعنونتها بما أسماها به الأستاذ نفسه، وأضفت إليها بعض الحواشي بما خطر لي من ملاحظات تتمة للفائدة)[٨]

وتتضمن هذه المقدمة أمورا:

١- أنه التزم بتسمية هذه الأمالي بما سماها به الأستاذ المملي نفسه.

٢- أنه نسبها لصاحبها، وأضفى عليه ألقاب الاحترام والتبجيل.

٣- أنه زاد عليها بعض الحواشي تتميما للفائدة.

ثم بدأ الشيخ الفضلي ببيان قواعد تحقيق المخطوطات من حيث تعريف النصوص في اللغة والاصطلاح ثم عرف تحقيق النصوص إذ قال: (يراد بتحقيق النصوص الاجتهاد في جعلها مطابقة لحقيقتها في النشر كما وضعها صاحبها ومؤلّفها من حيث الخط واللفظ والمعنى، وذلك بسلوك الطريقة العلمية الخاصة بالتحقيق، وهي البحث عن أصول النصوص، فأصحّها وأصدقها ما كتب المؤلف نفسه)[٩].

وفي هذا التعريف نجد أنه أكد أمورًا منها (الاجتهاد)، وهو بذل أقصى الجهد، والتفكير في سبيل خدمة التراث، وكذلك أشار التعريف إلى أن تحقيق المخطوط يجب أن يكون مطابقا لما أراد المؤلّف، وركّز التعريف على نقاط مهمة، هي التقيد بالطريقة العلمية في تحقيق المخطوطات، فيجب على المحقق أن يلتزم بما ورد من قواعد في التحقيق منها البحث في نسخ الكتاب وترتيبها حسب الأهمية، وأشار إلى أن أفضل النسخ هي التي كتبت بخطّ مؤلّفها.

فإذا وجد المحقق نسخة بخطَ المؤلف سالمة تامة كاملة، فعليها المعول والاعتماد، وإذا لم يجد أو كانت نسخة المؤلّف فيها خرم أو تلف، فيجب في هذه الحالة حشد جميع النسخ من الكتاب، واتخاذ أصح النسخ وأتمها[١٠].

طرق معرفة نسخ الكتاب المراد تحقيقها

ذكر الدكتور مصطفى جواد طرائق لمعرفة نسخ الكتاب الذي يراد تحقيقه، منها:

١- البحث في فهارس المخطوطات المؤلّفة في خزائن الكتب، مثل فهارس دار الكتب المصرية، وفهارس كتب المتحف البريطاني في لندن، وغيرهما.

٢- سؤال أهل الخبرة في فن التحقيق والعارفين بخزائن الكتب الخاصة؛ لأن كثيرا من المخطوطات محفوظة في تلك الخزائن.

٣- ينبغي للمحقق أن لا يغفل عن الاستفادة من مختصرات الكتب المخطوطة إن وجد له مختصرا، ولم توجد للأصل نسخة ثابتة.

كيفية معرفة قدم النسخة:

تحدث الدكتور مصطفى جواد عن كيفية معرفة تاريخ النسخة، وأنها القدمى، وذكر أن أفضل النسخ هي التي كتبها المؤلف نفسه، أو نسخة مضبوطة عليها، والضبط إما أن يكون بإملاء المصنف على الطلاب، وإما ان يكون بقراءته إياها عليهم، ويكون ذلك بإثبات القراءة في أولها أو آخرها.

فإن لم يجد طالب التحقيق نسخة المؤلف، ولا نسخة مضبوطة عليها، يبحث عن نسخة كتبت في عصر المؤلّف وعليها سماعات. فإن كانت على النسخة سماعات، فقدمها يشفع لها في أن تكون مختارة مفضّلة على غيرها.

وإذا تعارضت نسختان إحداهما قديمة كثيرة التصحيف والنقص، والأخرى حديثة سالمة صحيحة فالاعتماد على الحديثة، وهي التي ينبغي أن تنشر، لأن المرادَ بتحقيق النصوص جعلُها مطابقة للحقيقة التي وضعها عليها مؤلفها ما أمكن ذلك، وإذا لاحظنا سلامة الغاية لم تضرنا حداثة الوسيلة[١١]

ثم تحدث الدكتور الفضلي عن صفات المحقق، وعدّد صفات كثيرة، منها الصبر والأمانة، وأن يكون معنيا بالعربية عناية هوى ودراسة.

الاختصارات والرموز

ترد في المخطوطات أحيانا بعض المختصرات وذلك لأسباب منها:

١- الاقتصاد في الحبر والورق.

٢- عدم التكرار، إذ يكثر الاختصار في الجمل المكررة كالتصلية والترحم، والإشعار بالانتهاء، ومن هذه المختصرات:

رحه = رحمه الله
تع = تعالى
ثنا = حدثنا
أنا = أنبأنا

الفهارس

ذكر الشيخ الفضلي أن قواعد النشر الحديثة توجب على الناشر صنع فهارس لمواد الكتاب للأبواب والفصول والفوائد والفرائد، ولأسماء الناس والأماكن والأمم والطوائف والقبائل والفرق، من أجل تيسير الاستفادة من الكتاب.

وأغلب الفهارس تكون مرتبة على حسب حروف المعجم، والفهارس المعمول بها هي:

- فهرس الأعلام للناس
- فهرس الأماكن
- فهرس الشعراء
- فهرس الكتب المذكورة

ولم يذكر الشيخ الفضلي:

- فهرس الآيات
- فهرس القراءات القرآنية
- فهرس الأحاديث

وختاما نقول: إن للشيخ الفضلي جهودا مميزة في خدمة التراث وتحقيقه، سواء على صعيد تحقيق المخطوطات، أم على صعيد التأليف في بيان قواعد تحقيق المخطوطات. وقد أوضح هذا المقال جزءا يسيرا من جهوده ندعو الله أن يوفقنا لإبراز جهوده بشكل أوسع. إنه حميد مجيد.

الهوامش:

١- ينظر: تاريخ القزويني:١٩٥/١٦.
٢- ينظر: المرجع نفسه.
٣- ينظر: أمالي الدكتور مصطفى جواد في التحقيق وفقه اللغة: ٣٦.
٤- ينظر: المرجع نفسه.
٥- ينظر: تاريخ القزويني:١٩٦/١٦.
٦- ينظر: أمالي الدكتور مصطفى جواد في التحقيق:٣٧.
٧- ينظر: أمالي الدكتور مصطفى:٣٨.
٨- أمالي الدكتور مصطفى جواد:٧١.
٩- المرجع نفسه.
١٠- ينظر: أمالي الدكتور مصطفى جواد:٧٩.
١١- ينظر: أمالي الدكتور مصطفى جواد:٨٣.

(العلَّامة الفضلي شاعراً-رباعية الانتظار نموذجاً)

حسين خليفة مدرسً مادة النحو العربي في مدارس التهذيب الأهلية في سيهات، المملكة العربية السعودية.

رباعية الانتظار

أنا في انتظارك طال أو قصر المدى
لا البُعدُ يُيؤُسُني و لا جَورُ العِدا
ما يـــــومُك الموعــودُ إلا نسـمةٌ
روحيةٌ نطفـــي بها لهب الصدا
قسماً بسيف أبيك حيدرة الوغى
نحنُ العطاشى الطالبو وردِ الردى
ما ضر من شرب الولاء مُعـــــتقاً
ألَّا يـــــرى في خمرهِ إلَّا الفِدا

إنَّ القراءة المتأنية الدَّالة هي الطريقة المثلى لإثبات شعريّة النصّ المقروء أو عدمها، فإنّ التأني القرائي للنصِّ هو الكفيل باطلاعنا على حقيقة النصّ وجوهره، ذلك أنَّ القراءة النقديّة كثيراً ما تنكشف أمامها الخطابيّة الفجَّة لنصوص كثيرة تترست بالمحسنات البديعية غير العفويّة كما شاع التمثيل على ذلك بما اصطلح عليه بأدب الدول المتتابعة ـ مع التحفظ على التحقيب السياسي لتاريخ الأدب، وعلى إصدار الأحكام الانطباعية العامة على أدب الفترة المذكورة ـ أو أنَّها اختفت خلف لغة تهويمية، أو غموض غير منتج لتخدع المتلقي، وتوحي إليه بعمق النصّ وإبداعيته، وهو ملمح بارز لكثير مما يُنظم في العصر الحديث.

والناقد الموضوعي هو من يبحث عن جوهر النصّ من داخله مجرداً من قبليات أومسبقات منحازة إلَّا إلى الطبيعة النقدية في صفائها وبراءتها المخلصة إلى أدواتها.

و في ضوء ما تقدم ستكون قراءة (رباعية الانتظار) مستنطقة لغة النصّ في معجميّة مفرداته وإيماءاتها السياقية بعيدة كلَّ البعد عن الشفهيّة أو الانطباعيّة السريعة أو البتر التجزيئي الشواهدي المأخوذ به في البلاغة المدرسية.

فالملاحظ في (رباعية الانتظار) استعمالها أسلوب الخطاب المتّجه من المنتظِر إلى المنتظَر، يؤكد المنتظِر العامل لإمامه المنتظَر على عدم يأسه من حقيقة انتصار الإسلام وتطبيقه على البسيطة كلِّها؛ لأنَّ المنتظَر شخصيّة يراد لها أنْ تؤدي دوراً بالمستوى المذكور، وبما أنَّ المنتظِر يحمل العقيدة نفسها، فإنَّ تحركه سيكون وفقها وبقدرها، والموانع الكبيرة - بطبيعة الحال- نابعة من تحمّل السير في خط الهدف

الكبير هذا، وهي لعظمها تسبب اليأس والإحباط بحسب العادة، لكن المنتظِر يتحلَّى بإيمان متين يجعله طليقاً من قيود اليأس والإحباط.

ولم يكن عدم اليأس من الفكرة المجردة القابعة في الوجود الذهني، بل كان عدم اليأس متعلقاً بالممارسة الإجرائية من قِبل المنتظِر للفكرة تلك في الوجود الخارجي، فقوله :» ولا جور العدا» ما هو إلَّا دالة لغويّة على المعنى المتقدِّم، فالمنتظِر هنا سائر في معراج التمهيد لتحقيق اليوم الموعود، وهذا الهدف يشكل عنده «نسمة روحية» تشحنه عاطفياً وفكرياً لمواصلة الدرب٠

بيد أنَّ الموقف الفكري والحراك العملي هذين لم ينطلقا من نزعة ترفية، بل هما خيار جاء نتيجة (عطش) من جانب المنتظِر الذي يجعله يعدو بكل ما عنده من طاقة في اتجاه(الورد) المقدر له أنْ يروي ليس عطش المنتظِر فحسب، بل هو عطش النوع الإنساني المعبِّر عنه بضمير الجمع «نحن العطاشى» ممَّا يدفع شبهة الذاتية عن المنتظِر ويضاعف مسؤوليته تجاه الرسالة المؤمن بتأديتها.

غير أنَّ عشق المطلب المتقدم وإرادة تحقيقه من قِبل المنتظِر نابع من ذاته، وهو في إصراره على تحقيق الأمر يقتحم المهالك ولا يخاف المخاطر، فولاؤه المنعكس على فعله يلتقي مع فعل الخمرة في عقل السكران التي تجعله كالمجنون في الحركة، والمجنون لا يخاف من شيء، ولا يبالي ولا يتهيب أحداً.

ويُحسب للشاعر الذي « شرب الولاء معتقاً ولم ير في خمره إلَّا الفدا»

استعماله الخمرة كرمز يعبِّر عن هيام العلاقة وذروتها - وهو استعمال وإنْ كان مطروقاً كرمز في الحبِّ الإلهي، وأدب التصوّف والعرفان – ذلك أنَّ نقل الرمز من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى غرض يُعَدّ كسراً للنمط، مما يسهم في إثراء الأدب ويشكِّل سمة، ومَزِيّة للأديب.

كما ينضاف إلى شاعرنا أنَّ ترميزه المنقول شكلاً هو مرتجل في حقيقته الإبداعية ؛لأنَّه تحرك في مسار معنوي جديد خدم الموضوع ورفع منسوب شعرية النصّ، فالمنتظِر الذي (شرب الولاء المعتق من الخمر) أراد

بذلك الشرب أن يذهب العقل الجمعي المتشكل، والمنتزع من الإرادات الضعيفة الذائبة في معقولية المصلحي اليومي والآني، فيتخلص منه كعائق ليعود إلى العقل العقدي (المعتق) الأصيل الذي ينبثق منه فعل الانتظار، ويأخذ عنفوانه في معترك التمهيد.

..... إنَّ هذا الولاء «الإسكاري» يذكرنا بعابس الشاكري الذي ركض في ميدان المعركة لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) مجرّداً من السلاح، فقيل له: هل جننت حتى تضع نفسك عرضة للمهالك ؟! فقال وهو يركض ويحمل على الأعداء كلمته الشهيرة: «حبّ الحسين أجنني» .

فالعمل التمهيدي الكبير يحتاج إلى تضحية بالمستوى الجنوني العشقي المذكور...

ولعل لغة الرباعية وهي تتحدث بلسان شخص منتظِر، وبأسلوب الخطاب، انطلقت من واقع مهول مثقل بتخرصات الأعداء، وبميوعة المتذبذبين وضعاف النفوس، فكان أداؤها اللغوي يحمل الدلالة تلك الرادة على واقع من هذا القبيل، فألغت التعقل المصنوع ليكون (الفداء) قراراً نهائياً نابعاً من رؤية خمرية تُذهب العقل المستعار المتلبس بلبوس الأفعى في ملمسها الناعم، وفي لسعتها القاتلة.

وخلاصة ما استنطق من النصّ أنَّ القراءة قد اتجهت إلى استلال خيوط معجمية وسياقية منه كوَّنت النسيج القرائي له، نوجزها في النقاط التالية:

- خطاب متجه من المنتظِر إلى المنتظَر
- بُعد الغيبة الزمني، وعدم اليأس من حتمية الانتصار.

عدم يأس المنتظِر في السير نحو تحقيق الهدف، رغم جور العدا.

- اليوم الموعود يشكل (نسمة روحية) تشحن المنتظِر عاطفياً وروحياً لمواصلة الدرب.
- الموقف الفكري ليس ترفاً فكرياً، بل هو خيار عملي جاء نتيجة (عطش) يبحث عن (الورد).
- تأكيد عقلانية الولاء الصادقة، وتشبيهها بـ (الشراب الخمري المعتق) العامل على تغييب العقلية المرتبكة أو الخائفة أو العقلانية المصلحية ذات النظرة الواقعية القصيرة، ليصل المنتظِر إلى تشكيل رؤية عمادها (الفداء) الذي

يحقِّق الغرض بتجاوزه كلّ عقد الارتباك وانعدام الرؤية والخوف والرؤى المصلحية القصيرة...

و ينبغي أنْ يُعلم في نهاية المطاف أنَّ نصوصاً كثيرة ادَّعى نقادها بتحليها بالتكثيف لمجرد انغماسها بالغموض الناتج عن التعقيد اللفظي أو المعنوي أو المنحى المعجمي أو المنحى الإحالي الغيري، مع التسرع بالحكم على جدّة نصوص من هذا القبيل، متى ما كانت من نمط التفعيلة، أو نمط الإيقاع النثري المتأخرين زمنياً عن نمط الشطرين، وكأنَّ هذا وحده يسوّغ الحكم السريع بالجدّة والحداثة، كما أنَّ قدم نمط الشطريسوّغ التسرّع بالحكم على خطابيته دون إعطائه اهتماماً فاحصاً أقلّ بكثير من الاهتمام المضني لإصدار حكم متوسِّل بالحيل الكثيرة لصالح النمطين المتأخرين عن نمط الشطرين...!

إنَّ المحافظة على الجانب الإبلاغي العام في لغة النصّ، مع إغنائه بمؤشرات وملامح تمنح القراءة النقدية المتخصِّصة فسحة تتحرك من خلالها في فضاء النصّ لاقتناص (شوارده) - على حدّ تعبير أبي الطيِّب المتنبي - لهو أمر ينمّ عن روح إبداعيّة غنيّة يتمتّع بها منشئ النصّ، وهي روحيّة تحلَّى بها كلّ من كونت مرجعيته الثقافيّة نصوص النماذج العليا، واختمرت أحاسيسه المعنويّة، وحسّه الذوقي بطريقتها في الجمع بين الوظيفة الإبلاغية وفنية اللغة الراقية المكتنزة بمضامينها، ولا مثال أرقى على ذلك من القرآن الكريم ومن نهج البلاغة اللذين انطلقت نصوص المرجعيّة المذكورة من الاقتداء بهما في الجمع بين المنحيين الإبلاغي و الفني، ذلك الجمع الذي ينبغي إعادة النظر فيه، وقراءته بعينين فاحصتين لا بعين تحدّق بالجانب الإبلاغي، فتطلق عليه الأحكام المتسرعة وتصمه بالخطابية، وتغفل الجانب الآخر، لترسِّخ بقصد وبغير قصد أيضا مفهوماً خاصاً للغة الفنية بغية تعميمه ومحاصرة النصوص التي تخالف منحاها محاصرة تصل إلى الإلغاء والإسقاط من الاعتبار؛ انطلاقاً من توجه ورؤية مسبقين يغريهما الدعم الغيري، ويمدهما ويمنحهما

جرأة التجاوز على نصوص غنية بغنى مرجعياتها التي تنهل منها، وتمنحها نبض الحياة.

هكذا نجد أنَّ القراءة قد حلّقت في الفضاء النصيّ لـ(رباعية الانتظار)، فوقفت عند مفرداتها مستنطقة دلالاتها المعجميّة، وما أنتجته تشكيلاتها الإسنادية وعلاقاتها البنائية من دلائل سياقية أسهمت في إنتاج اللغة الموحية محققة سمة التكثيف باعتبارها من أهم العناصر التي يقاس بها النصّ فيستدلّ على شعريته بوجودها وعلى تقريريته بعدمها.

التصوير الاستعاري في شعر الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (طيّب الله ثراه)

م.م. ذرى علاء الفضلي - ديوان الوقف الشيعي / النجف الأشرف

يعد العلّامة الشيخ عبد الهادي الفضلي (طيّب الله ثراه) من الشخصيات ذات الثقافة الموسوعية والشموليّة، فهو في مجال اللغة العربيّة الأستاذ الجامعي، النحوي، اللغوي، البلاغي، العروضي، الصرفي، الناقد، الشاعر، إذ ألّف وكتب فيها جميعاً، فضلًا عن تأليفاته في مجالات أخرى عديدة ومهمة ليست مدار الكتابة، فهو من الشخصيات الأدبيّة والعلميّة الجادة التي تُعنى كثيرًا بالأدب، والكتابة، والتأليف، والتقديم، والتحقيق.

أحبَّ الشعر، وظهرت موهبة قوله في سن مبكرة، إذ يذكر أنَّ عبارة (الشعر فنٌّ جميل) هي أوّل كلمة كتبها، ونُشرت على جدارية المدرسة، وأوّل محاولة شعريّة كانت من بحر الهزج[١].

يعدّ الشيخ الدكتور الفضلي من الشعراء الفقهاء، ويندر أنْ نجد فقيهًا ليست لديه ميول شعريّة أو أدبيّة، إذ سُمع للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رأي يقول فيه: (يشترط في الفقيه أن يكون أديبًا)[٢]، ولابُدّ من القول بأنّ أكثر أدباء العربيّة، وشعرائها،وأهل الخبرة في اللغة، وفلسفتها في العصر الحديث هم من خريجي الدراسات الدينيّة كالشبيبين (الشرقيّ، والجواهريّ)...[٣] وقد أفرد السَّيِّد عبد الله كنون بحثاً عن أدب الفقهاء جاء فيه:

إنَّ الشعراء الفقهاء هم طائفة تعرضت للإقصاء من الدراسات الأدبيّة، بل حتى من الاستشهاد بشعرهم، والاقتصار على الأسماء المنتخبة المعروفة من الشعراء، لغلبة وصف الفقه والعلم عليهم[٤].

إنَّ اشتغال العلّامة الدكتور الفضلي بدراسة العلوم الدينيّة والفقهيّة والشرعيّة قد غلبت على كونه شاعرًا، إلَّا أنَّ القارئ لديوانه الذي جمع في العام (٢٠١٨) يجد شاعرًا مجيدًا ذا موهبة حقيقية كبيرة، حيث ضمَّ الديوان قصائد لأغراضٍ مختلفة منها: شعر المناسبات والإخوانيات، وشعر الرّحلة، والغزل، وشعر الحكمة، والشعر الساخر، وشعر

الحنين والغربة ـ كان الشيخ الدكتور الفضلي يسمي نفسه رهين الغربتين غربة الفكر والمجتمع ـ[٥]... وفيه يقول: (من الخفيف)

جَفَّ نبْعُ الهَوى وغاضَ البَيانُ
وَتَناءت عَنّي المَعاني الحسانُ
هكذا هكذا تَجورُ الليالي حِينَ
تَكبو الدُّنى وَيَنبو الزَمانُ
أينَ مِني أيّام كُنّا جَميعًا أيْنَ
أهلي الكِرامُ و الأَوطَانُ؟

كذلك يجد القارئ في ديوانه آراء للعلّامة الدكتور الفضلي يعبر بها عن رأيه في الشعر وبعض أنواعه، نذكر منها رأيه في الشعر الجاهليّ والشعر الرمزيّ، إذ يقول: (الشعر الجاهلي لا يختلف عن أيِّ تراث ثقافي آخر في تسرب الشّك إلى أصالته، ومتى كانت وسائل المحافظة مأمونة، قلَّ الخطر وضعف الشك، والشعر الجاهلي تناقله رواة ثقات، وتعهد دراسة أسانيد روايته نقاد أمناء، مما يدعونا إلى الإيمان بأصالته مع استبعاد ما نصّ الرّواة والنقاد على نحله فقط)[٦]. هذا رأيه في أصالة الشعر الجاهليّ، ويقابله آراء لعلماء الأدب العربيّ، ممن أنكروا وجوده.

وفي الشعر الرمزي يقول: (الشعر الرمزي كانت له ظروفه التي فرضها القمع الاستعماري للدول الغربية، فلاذ الشعراء للرمزية، والسبب الآخر هو تأثر بعض الأدباء بالرمزيين الغربيين)[٧] فالرّمز في التجريد العقلي هو المرحلة النهائية للصورة، بعد أن تجرّدت عن ذاتها، فيكون الرمز جسدًا لآخر[٨]، والرمز بمعناه الحقيقي هذا، لا يراه العلَّامة الفضلي يلتقي بطبيعة العربيّ؛ لأنَّه واضح وضوح الصحراء، وأنّ وضوحه هو؛ لتأدية رسالته الاجتماعيّة، لذلك هو لا يجد سلامة تسميته بالأدب الرمزي، لعدم احتوائه على شروط وعناصر هذا الأدب، وإنَّما هو تضبيب نشأ في الأوساط الأدبيّة، نتيجة لما يعانيه الشباب من فراغ وضحالة في معرفة الفكر اللغويّ والثقافيّ عامّة، أو هروب من تحمّل مسؤولية ما يقول في مثل هذا الأدب[٩]. تلك بعض من آرائه التي

تجدها تصيب ما يصبو إليه مباشرة، من دون أيِّ التواء أو تعقيد في إيصالها للقارئ والباحث.

التصوير الاستعاريّ

قبل البدء في بيان الاستعارة في شعر العلّامة الفضلي علينا أنْ نبين الأصل اللغويّ لهذا الفن، مع بيان الحدّ الاصطلاحي له؛ لبيان مدى التقارب بينهما، و ليتسنى للقارئ فهم معناها قبل التطبيق الاجرائي لها في شعر العلّامة.

فمن الناحية اللغوية، تُشير الاستعارة إلى الأخذ، والعطاء، والتداول،... واستعار الشيء واستعاره منه، طلب أن يعيره إيّاه[١٠].

قال السكاكيّ (ت٦٢٦هـ) فيها : (والاستعارة هي أنْ تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالًا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبّه به)[١١]، والاستعارة، هي استعمال الألفاظ في غير ما وضع لها لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنها، والمعنى المستعمل فيها، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصليّ[١٢].

الاستعارة كما يقول الدكتور مصطفى ناصف: برهان جليّ على نبوغ الشاعر، وقد نقل إلينا رأي أرسطو فيها في أنّ الاستعارة علامة العبقريّة، وأنّها لا يمكن أنْ تُعلم، وأنّها لا تمنح للآخرين[١٣].

الاستعارة في شعر الفضلي:

وجد العلّامة الفضلي في الاستعارة مبتغاه في ابتكار الصور الجماليّة التي تسهم في توسيع لغة النص، مستثمراً المعاني والدلالات التي تمنح النصّ الشعريّ إمكانية التأثير والتفاعل بصورة تختلف عن التأثير والتفاعل الذي يتركه المعنى الحقيقيوالأسلوب المباشر، وهذا ما نلمسه في قوله[١٤]: (من الخفيف)

قِفْ مِنَ الفَنِ خاشِعًا لِجَلالِهْ
تَقْبِسُ الوَحيَ مِنْ متونِ جَمَالِهْ
قَدْ جَلا الْكَوْنَ بالبَدَائِعِ سِحْرًا
يُشْرِقُ النُّورُ مِنْ خَفِيِّ ظِلالِهْ

يصوّر العلّامة الفضلي الشعر

بأبرع وأجمل الصور الاستعاريّة، إذ يصوّر مَلِكًا جليلاً عظيماً في قوله:(خاشعا لجلاله) أي وأنت تستحضره واقفاً بين يديه، خاشعاً مسلما بكلِّ جوارحك، متّبعًا إيّاه، منقادًا إليه، (تقبس الوحي) يشبهه بـ(الوحي) حيث تتبع نوره فتردد ما يقوله، أما عبارة (متون جماله)؛ فهي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، إذ هي القرينة الدّالة على أنّ المراد هو القول الجميل، وهنا نشير إلى تمكّن العلّامة الفضلي من استعمال عبارات، وجعلها طوع الخيال، لا يجرؤ على الإتيان بها غير كبار الشعراء كـ (خاشعا لجلاله) و (تقبس الوحي)؛ لأنَّها قيد شعرة عن انحراف الصورة التي أرادها إلى صورةٍ أخرى، وهي دليل تمكنه من فن القول وبراعته فيه.

كان للطاقة التعبيرية في العبارات التي شبّه العلّامة بها على سبيل الاستعارة، دلالات موحية، استثمرها في الإشارة إلى عظم أثر الشعر وقدسيته.

تقسم الاستعارة من جهة حذف أحد طرفيها: إلى استعارة مكنيّة، واستعارة تصريحيّة، ففي التصريحيّة يُحذف المشبه (المستعار إليه) من العبارة، أمّا الاستعارة المكنيّة[١٥] التي جاءت بلازمة من لوازم (المشبه به) المستعار منه في البيت الشعري، قد أعطت تلك المساحة التعبيريّة؛ لأنّ تأثير الشعر في المتلقّي، وايضاح أهميّته ما هو إلا تأثير معنويّ، فتجسيده بتلك العبارات المستعارة تجعله راسخًا في ذهن المتلقي، وكذلك الاستعارة المفردة في البيت الشعريّ عبرت عن بساطة النصّ ؛ لأنّ التشبيه كان غير منتزع من أشياء أخرى، أي اللفظ المستعار كان لفظًا مفردًا.

والنوع الآخر من أنواع الاستعارة، هو الاستعارة المركّبة، أي: أنّ (الشبه) المستعار لم يكن موجودًا في الشيء على انفراد، بل أكّد معه غيره، كعبارة: (أعطِ القوس باريها) والقوس على انفراد ليس بمستعار، ولكن مجموع الكلام[١٦]، وقد تأتي الاستعارة المركبة بِاسم الاستعارة التمثيلية، وهو

تشبيه صورة بصورة، لما بينهما من صلة من حيث المعنى، فهي تركيب استُعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة.

ثمّ يعود العلّامة الفضلي مشبهًا قول الشعر بأجمل الألفاظ المستعارة في القصيدة نفسها، قائلاً:

قِفْ مِنَ الْفَنِ بَاعِثِ الإيحَاءِ
وتَأَمَّلْ فِي فَاتِنَاتِ الْمَرَائِي
قَمَرٌ مُشْرِقٌ ونَجْمٌ وَ ضِيءٌ
وَسَنا النُّورِ في جَبِينِ السَّماءِ

صوّر العلامة في بداية القصيدة، وعلى سبيل الاستعارة، الشعر مثل قبس الوحي، أي:

شعلة تهتدي الناس بها، وأكمل في المعنى، إذ جعل الشعر كإشراقة القمر وضوء النجم، واستعارته لهذين اللفظين توحي بدلالات عديدة، منها:

١- إنَّ هذا الفن يصل نوره إلى الجميع، أي الفائدة والمتعة والجمال.

٢- كونه دليلاً، فبنور القمر والنجم، تهتدي الناس في مسيرها.

٣- المكانة العالية، والرفعة التي تبين المنزلة.

ثمّ عاد قائلاً في عجز البيت (جبين السماء)، والجبين: موضعه أعلى رأس الإنسان، وهي القرينة المانعة، فلا جبين للسماء، وإنَّما قوله مع ما سبق إيحاء بجامع الرفعة والضياء والجمال.

وحذف العلّامة الفضلي المستعار له في البيت الشعري، يجعل منها استعارة تصريحية بألفاظ مستعارة مفردة، وبتصريحه بالمستعار منه أوجد المبالغة، مجسدًا المعنى بلوحة ذات قيمة فنيّة ومعنويّة.

وفي قوله من قصيدة (سلم الحياة)[١٧]: (من الخفيف)

مُذْ رَأى سُلَّمَ الْحَياةِ قَصِيرًا
وَجَمالَ الدُّنَى سَرابًا وَآلا
قَدْ أُحِيطَتْ بِكُلِّ قَيْدٍ ثَقِيلٍ
مِنْ تَقاليدَ وجَّهَتْنَا ضَلَالا

شبّه العلّامة الفضلي على سبيل الاستعارة الحياة (بالسلَّم)، وأنّ المتأمل لهذا القول يجد أنّ استعارة هذه المفردة، تعني أنّه كلّما صعدت سُلَّمة تبتعد عن أولها، وتقترب من

آخرها، وما أن تضع قدمك على أوّله، إلّا وتبلغ نهايته، وأنت لا تشعر، وكلّما تابعت صعوده يشعر جسمك بالإنهاك، وهكذا الحياة، وكذلك توحي كلمة (سلّم) إلى معنى أنْ يتقدم المرء في حياته، وأن لا يبقى في مكانه، ولا أجمل من العلم يرفع به الإنسان قدره، مثلما ترتفع وأنت ترتقي السلّم، وهذا كلُّه يمرُّ سريعًا بلحاظ مفردة (قصيرًا).

وتلمح الاستعارة في عجز البيت (سرابًا)، إذ صوّر العلّامة الفضلي جمال الدنيا مجازًا بأنَّها سراب مكملًا بها المعنى الذي يريده، فلفظة سراب تعني الخداع والوهم والزوال، ومن المعلوم أنَّ السراب يوجد في الصحراء، والأماكن الجافّة الحارّة، فيحسب الرائي السراب ماءً، والمانع من إيراد المعنى الأصلي هو: (جمال الدنى) فيكون وجه الاستعارة إمّا أنَّ جمال الدُّنيا ونعيمها إلى زوال (كالسراب) يزول كلّما اقتربنا منه، أو أنَّ جمالها الدائم هو (وهم)، وقد حُذف من البيت الشعري ليتوسع في الدّلالة والخيال والإبهار بالمعاني، فجاءت الاستعارة المكنيّة مجسّدة ومشخّصة لتلك المعاني المستوحاة من الألفاظ المستعارة. ويستمر استثمار العلّامة الفضلي للاستعارة في إيصال أفكاره ورؤاه في هذه الحياة، في قوله[١٨]: (من الخفيف)

أَنْتَ في هذِهِ الحَيَاةِ زِمَامٌ
قَدْ يُعِيدُ الجَمُوحَ سَهْلاً رَخِيّا
أَوْ يُعِيدُ السَّبُوحَ غَضْبَةَ نَارٍ
تَقْضُمُ الْحَبَّ والْحَصيدَ النَّدِيَّا
هِيَ أنْ تَنْظُرَ الْحَيَاةَ سَلامًا
أوْ تَرَاهَا جِلادَ حَرْبٍ عَتِيَّا

صوّر العلّامة أنَّ الإنسان هو من يقرر كيف تكون حياته، أيْ أنَّه هو من يقود نفسه، وهو المسؤول عنها، قد يكون مندفعًا وراء عاطفته متسرعاً باتخاذ قراراته، لكنْ سرعان ما يهدأ، ويستعيد رباطة جأشه، هذه المعاني ماهي إلّا دلالات انبعثت من الألفاظ التي استعارها العلّامة.

فلفظة (زمام) مستعارة من الرِّباط الذي يربط مقدمة الفرس وبه يُقاد، أمَّا لفظة (جموح) فهي تدلّ

على حال الفرس المندفع الذي يفقد السيطرة، ونلحظ اللفظتين (الرباط)، والجموح) قد استعيرتا من حالة الفرس، والتشبيه هنا على سبيل الاستعارة في حال الإنسان، فكلُّ فرس جموح لابُدّ أنْ يروّض، ويصبح سهلًا، ويتحكم بأدائه، وهي استعارة تبعث الأمل بأنّ دوام الحال من المحال، ومهما يبلغ عناد الإنسان، سيأتي يوم يكون متحكمًا برباطة جأشه، ذا فائدة لنفسه وللآخرين.

وفي البيت الثاني يرينا العلّامة إذا اختار المرء أن يبقى على عناده، فيطلق العنان لنفسه، فيحرق ما يراه أمامه وهو بهذا يحرق نفسه أولًا، ثمّ يفقد سيطرته عليها كالفرس (السبوح) الذي يجري مسرعًا مدمرًا الزرع والحصاد، يجري هلعًا وغضبًا ، لا يعلم ما يريد، أو أين يذهب؟

إنَّ استعارة العلّامة تبين لنا صورتين فنيتين، تظهر فيها روح رجل الدّين في النصح والإرشاد، وبيان الطريق الصحيح الذي على الإنسان اختياره والسير فيه.

جُسدت الاستعارة، ووُظفت في خدمة ما يهدف إليه العلّامة الفضلي، فكانت الاستعارة المكنية المفردة محقّقة لهذا الهدف.

نخلص مما سبق إلى أنّ التصوير الاستعاري في شعر العلّامة الفضلي، ومن طريق الإجراء التطبيقي عليه، نلحظ أنّه كان حريصاً على إيراد الاستعارة الملائمة للتجربة الفنية، فكانت استعاراته مجرّدة، بذكر استعارات تلائم المستعار له، واقتصرت استعاراته على المكنيّة والتصريحية والمفردة.

الهوامش

١- يُنظر: الدكتور عبد الهادي الفضلي تاريخ ووثائق ,حسين منصور: ٢٣.

٢- ديوان العلّامة الفضلي: ٩.

٣- يُنظر: الديوان، السيد مصطفى جمال الدين: ١٦.

٤- يُنظر: أدب الفقهاء: ٣ـ ٤.

٥- يُنظر: ديوان العلّامة الفضلي: ٢٢. غادر العلّامة النجف والعراق

نهائيًا إلى السعودية بعد صدور أمر باعتقاله، يُنظر: قراءات في فكر العلّامة الفضلي:٤٨.

٦- المصدر نفسه: ٣٤.

٧- المصدر نفسه: ٣٥.

٨- يُنظر: الرمزية والأدب العربي الحديث، انطوان غطاس:٧ـ ٨.

٩- يُنظر: ديوان العلامة الفضلي: ٣٥ـ ٣٦.

١٠- لسان العرب (مادة عور):٤٧١/٩.

١١-مفتاح العلوم: ٥٩٩.

١٢- يُنظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٢٦٤.

١٣- يُنظر: الصورة الأدبيّة، الدكتور مصطفى ناصف: ١٢٤.

١٤- ديوان العلامة الفضلي: ٦٩.

١٥- يُنظر: علم أساليب البيان، غازي يموت: ٢٤٨ـ ٢٤٩.

١٦- يُنظر: دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة، محمد فاضلي: ٢٩١.

١٧- ديوان العلّامة الفضلي:٧١.

١٨-المصدر نفسه: ٨٧.

المصادر والمراجع

ـ أدب الفقهاء، العلّامة الأديب عبد الله كنون، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان،(١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م).

ـ دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة، محمد فاضلي، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرسنكي، طهران.

ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، اشراف صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

ـ الدكتور عبد الهادي الفضلي تاريخ ووثائق، حسين منصور الشيخ، منشورات لجنة مؤلفات العلّامة الفضلي، الطبعة الثانية، (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٣م).

ـ ديوان العلّامة الفضلي، لجنة مؤلفات الفضلي، الطبعة الأولى، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م).

ـ الديوان، السيد مصطفى جمال الدين، دار المؤرخ العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

ـ الرمزية والأدب العربي الحديث، انطان

غطاس، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت. لبنان (١٩٤٩م).
ـ الصورة الأدبية، مصطفى ناصيف، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى، (١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨م).
ـ علم أساليب البيان، الدكتور غازي يموت، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٩٥م).
ـ قراءات في فكر العلّامة الفضلي، فؤاد عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).
ـ لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة،(د.ت).
ـ مفتاح العلوم، السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

المَنْهجُ التّرْبَوي
فِي فِكْرِ العَلامَة الفَضْليّ

أ .م .د عادل السيِّد حسن سليمان الحسين / الأحساء

مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أمّا بعد، أيُّها القارئ العزيز بين يديك بحث استقرائي في سِيَر الأعلام يتناول المنهج التربوي (Educational Approach) للعلّامة الشيخ عبد الهادي الفضلي(رضوان الله تعالى عليه).

يجد المتتبّع للمسيرة العلميّة والثقافيّة في منطقة الخليج العربيّ، وعلى مدى الخمسين سنة الماضية قلة العلماء المبدعين في تخصصاتهم، والذين نهضوا بالأمة، وألزموا أنفسهم بالقيام بهذه المهمة الصعبة حتى يبرِّئوا ذمتهم أمام الله سبحانه وتعالى، حين يسألهم عن علمهم فيم أبلوه؟ لما لنتاجهم العلميّ والفكريّ والتربويّ الأثر الكبير في توعية المجتمع ورقي الأمَّة.

حيث تقاس الأمم ورقيها بعلمائها وبنتاجهم العلميّ والفكريّ والتربويّ في شتى الميادين؛ لذا نجد أنَّ المجتمع الذي يخلو من وجود العلماء يتفشى فيه الجهل والتخلف وبلادة التفكير، بينما ينعم المجتمع الذي يعيش العلماء في كنفه بالوعي والثقافة وحسن التدبير لأمورهم.

ومن هؤلاء العلماء القلائل في منطقة الخليج العربيّ العلامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (قدّس اللّهُ نفسه الزكية)، الذي نذر نفسه لخدمة الدِّين، ولخدمة الأمة، ولخدمة الإنسانية من خلال علمه الغزير، وفكره المميّز، ومنهجه التربويّ الملموس في محاضراته وندواته، ومؤلّفاته الكثيرة التي بلغ عددها أكثر من سبعين سِفرًا، تتضمَّن الكتب الحوزوية، والكتب الجامعيَّة، والكتب الثقافيَّة، وكتب تحقيق التراث.

عرفت الشيخ الفضلي (رضوان الله تعالى عليه) من خلال مؤلّفاته وأعجبت به قبل أن أراه، وزاد إعجابي به عندما رأيته وجالسته في جدَّة والدَّمام، وجدته عالمًا ربانيًا، وأستاذًا فاضلًا، ومفكرًا بارزًا، وكاتبًا بارعًا.

في هذا البحث سوف أستعرض المنهج التربويّ للشيخ الفضلي (رحمه الله) في مسيرته الحياتيّة والعلميَّة

والعمليَّة من خلال استقرائي لنتاجه الفكري المكتوب والشفهي.

تمهيد

تعدَّدت معاني كلمة (منهج) في القواميس العربية، ويأتي هذا التعدد نتيجة للاستعمالات المتعددة لكلمة (منهج).

يقال: مَنهج (بفتح الميم)، ومِنهج (بكسرها) ،ومَنهج يعني في اللغة الإنجليزية: Methodology أو Approach.

ويقال أيضا: مِنهاج (بكسر الميم، وألف بعد الهاء). ومِنهاج يعني: Platform أو Approach أو Program.

وجمع مَنهج هو مناهج، وتعني في اللغة الإنجليزية: Curricula. وهناك معانٍ أخرى لها، ولكن هذا المعنى أوضحها وأقربها إلى الواقع، لأن كلمة Curriculum تطلق كثيرًا على قائمة «المناهج الدراسية» التي تدرس في الكليات والجامعات.

وفي اللغة العربية، المنهج يعني: «الطريق الواضح»[1].

فكلمة (مَنهج) إذا أضيفت إلى الفاعل (الشخص الممارس للعمل) أصبحت تعني (Approach)، وإذا أضيفت إلى الفعل (عملية أداء العمل) أصبحت تعني (Methodology).

ولتقريب المعنى:

مثلا: (مَنهج الباحث) تقابلها في اللغة الإنجليزية (Researcher Approach). وتعني طريقة الباحث في التعاطي مع الموضوع محل الدراسة أو البحث.

و (مَنهج البحث) تقابلها في اللغة الإنجليزية (Research Methodology). وتعني طريقة البحث التي يتم توظيفها في بحث الموضوع.

وهناك أيضا تباين بين كلمتي: أسلوب ومنهج، إذا ارتبطتا بالإنسان الممارس للعمل أو الفعل. فالأسلوب يعني (Style)، والمنهج يعني (Approach).

يختلف الأسلوب التربويّ والمنهج التربويّ من حيث المعنى والاستعمال في الحياة العمليَّة، ومن

حيث الضيق والسعة.

فالأسلوب التربويّ: يعني في اللغة الإنجليزية (Educational Style). والأسلوب التربويّ هو الأسلوب الذي يتبعه إنسان ما في جانب من جوانب حياته اليوميَّة.

والمنهج التربويّ: يعني في اللغة الإنجليزية (Educational Approach). المنهج التربويّ هو المنهج الذي يتبعه إنسان ما في كل جوانب حياته اليوميّة.

عندما يصبح الأسلوب التربويّ ممارسة دائمة ومستمرة في كل مفردة من مفردات الحياة لشخص ما، سوف تصبح تلك الممارسة سمة ملتصقة بذلك الشخص فكرًا وسلوكًا. وبذلك ستصبح منهجًا تربويًّا يشمل جميع شؤون حياته. فالمنهج التربويّ أشمل وأوسع من الأسلوب التربويّ. فنستفيد من هذا التحليل أن الأسلوب التربويّ يُعنَى بالجزئيات، أمّا المنهج التربويّ فيُعنَى بالكليات.

ومن هذا المنطلق التعريفي للمنهج التربويّ سأسقط هذا المفهوم على المنهج التربويّ في فكر العلَّامة الشيخ عبد الهادي الفضلي (رضوان الله تعالى عليه)، ذلك المنهج الواضح الذي اتبعه في سيرته ليصبح جزءًا من شخصيته وفكره وسلوكه. لم يسلك هذا المنهج التربويّ في حياته بمحض الصدفة، وإنَّما سلكه بإرادة نابعة من هدف سامٍ وضعه أمام عينيه مذ كان شابًا يافعًا، ومنذ أوائل نتاجه الفكريّ في الستينيات من القرن العشرين الميلادي، واستمر ذلك الهدف نفسه إلى أواخر نتاجاته الفكرية.

كان «الإنسان» هو النواة والمحور الأساس في المنهج التربويّ للعلامة الفضلي. فكان هدفه الأسمى هو: الارتقاء بذلك الإنسان في جميع مجالات الحياة.

كان الشيخ الفضلي إنسانًا رساليًا بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معنى، يحمل في حنايا صدره هم أمّة كاملة. عُنيَ بالفرد بوصفه إنسانًا، وعُنِيَ بالمجتمع بوصفه أمة، تجد ذلك جليًا في كثير من كتاباته ومحاضراته، والندوات التي شارك فيها.

بعض شواهد المنهج التربوي في فكر العلامة الفضلي:

سأستعمل المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع ما كتبه الشيخ الفضلي في بعض مؤلفاته، وما قاله في بعض محاضرته وندواته بهدف تعرّف منهجه التربوي في فكره من خلال سرد بعض الشواهد التربويّة:

أولًا: المناهج التعليميّة:

المناهج التعليميّة التي ألّفها الشيخ الفضلي سواء الحوزويّة منها أو الجامعيّة، اتسمت بنسق واحد من حيث الهدف، منذ أن ألّف كتاب «التربية الدينيّة» في الستينيات لطلاب منتدى النشر في النجف الأشرف إلى أن ألّف كتاب «دروس في فقه الإماميّة» لطلاب العلوم الدينيّة في مرحلة البحث الخارج.

كان هدفه من تأليف كتاب «التربية الدينيّة»، هو تنشئة ذلك الإنسان المقبل على الحياة تنشئةً دينيّةً واعية، لتحصّنه من الانزلاق في متاهات الحياة، ولترسم له طريقًا معبدًا إلى الكمالات[٢].

وقد ألّف كتاب «دروس في فقه الإمامية» ليكون منطلقًا للبحث العلمي في الفقه الإماميّ لطلاب العلوم الدينيّة في مرحلة البحث الخارج. أُشتمل الكتاب على بحوث تمهيديّة، وبحوث استدلاليّة؛ لتكون المدخل العلميّ لدراسة الفقه الاستدلاليّ الإماميّ. ويهدف العلامة الفضلي من ذلك إلى إرشاد طلبة العلوم الدينيّة في مرحلة البحث الخارج إلى الطريقة الصحيحة في كيفية التعاطي مع البحوث الفقهيّة دراسةً ومناقشةً وتقريرًا وتحليلاً[٣].

وتجد هذه المنهجيّة التربويّة نفسها في جميع المناهج التعليميّة التي ألفها العلّامة الفضلي، ألفها بتلك الروحيّة التربويّة، وبالهمة نفسها في كلّ المقررات التعليميّة، وفي كلّ مرّة يؤلّف كتابًا يُسخّر كل طاقاته العلميّة والفكريّة والمعرفيّة والتربويّة ليظهره على أكمل وجه، وكأنه أول كتاب له.

ثانيا: مشكلة الفقر في العالم:

تجد المنهج التربوي في فكر العلّامة الفضلي ماثلًا بشكل جلي في طرحه لمشكلة الفقر، ومحاولة إيجاد

حلول ناجعة لها. تلك المشكلة الأزلية العالميّة، فهي أمُّ المشاكل التي تعاني منها كثير من المجتمعات، قديمًا وحديثًا. فحسّه الإنساني دفعه بالدّرجة الأولى لتأليف كتاب «مشكلة الفقر» ليسهم ولو بشيء يسير في رفع المعاناة عن المعوزين ماديًّا. وبالدّرجة الثانية؛ لإظهار أنَّ الإسلام نظام حياة شامل لديه الحلول الجوهريّة لحل مشكلة الفقر في العالم، تلك المشكلة التي أخفق كِلا النظامين الرأسماليّ والشيوعيّ في حلِّها. وفي الوقت الذي يؤكد فيه الشيخ الفضلي أن النظام الحاكم - أي نظام - مسؤول مسؤولية كاملة عن حلّ مشكلة الفقر، يؤكد أيضا من الناحية التربويّة مسؤولية الفرد في السعي والبحث عن عمل شريف ليقتات منه هو ومن يعوّل، حتى لا يكون عالة على الآخرين في المجتمع. وبمعنى آخر ينبغي أن يكون عنصرًا منتجًا وليس عنصرًا مستهلِكًا فحسب[٤].

ثالثا: فن التعايش:

وفي جانب آخر من جوانب الحياة، أظهر الشيخ الفضلي بعدًا إنسانيًّا من خلال دعوته إلى التعايش بين الفئات المختلفة دينيًا وفكريًا وعرقيًا. وتجد هذا البعد التربويّ لدى الشيخ الفضلي في محاضراته في موضوع حوار الحضارات، فهو يدعو إلى الحوار والتعايش السلميّ بين تلك الفئات(٥) .

كان الشيخ الفضلي منطلقًا في هذا الجانب التربويّ من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٦].

وهذا السلوك التربويّ مصداق لقول الإمام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) في وصفه للناس: «فإنَّهم صنفان، إمَّا أخ لك في الدِّين، وإمَّا نظير لك في الخلق»[٧].

رابعا: إقامة الدولة الإسلاميّة:

عُنِيَ -رضوان الله تعالى عليه- بفكر التمهيد لإقامة الدولة الإسلاميّة. تجد ذلك ماثلًا في كتابه (في انتظار الإمام). انتهى الشيخ الفضلي من تأليف هذا الكتاب في عام ١٩٦٤م، وطبع في عام ١٩٦٨م، وقد تأخرت طباعة هذا الكتاب، لعدم حصول الشيخ الفضلي

على فسح لطباعته من قبل الثقافة والإرشاد في العراق، ولم يحصل على الفسح إلَّا في عام ١٩٦٨م. ويمثّل كتابه «في انتظار الإمام» أحد أهم المصادر البحثيّة التي سلطت الضوء على فكرة إقامة الدولة الإسلاميّة في عصر الغيبة، ومن خلاله تستشف إلى أيِّ مدى وصل إليه الشيخ الفضلي من وعي سياسي في سن مبكرة من عمره الشريف. ويهدف تربويًّا من هذه الدراسة إلى الارتقاء بوعي الإنسان والمجتمع لواقع الحياة المعاصرة، وحقيقة قضاياها الراهنة[٨].

ويمتاز هذا الكتاب أيضا بأنَّه كتاب استدلالي، فقد عرض الفضلي نصوصَ القرآن الكريم والسنة الشريفة والآراء المختلفة التي تناولت عناصر الموضوع، كلا على حدة. ومن ثمَّ خلص إلى رأيه. وفي هذا الأسلوب فائدة تربويّة يضعها الشيخ الفضلي بين أيدي الباحثين لتعرّف كيفية الاستدلال.

خامسا: الارتقاء بفكر الإنسان ووعيه:

وعلى صعيد الارتقاء بفكر الإنسان ووعيه، إذا سُئل الشيخ الفضلي عن مسألة فقهيّة، تراه لا يكتفي بإعطاء الحكم أو الفتوى فحسب، بل يحلل المسألة إلى عناصرها الأولية، ويفصّلها تفصيلا موضوعيًا دقيقًا، ويبين المباني - أي النصوص والقواعد الفقهية - التي اعتمد عليها الفقيه في إصدار الفتوى.

وإذا كان السؤال استفسارًا عن أيّ موضوع في شتى ميادين الحياة الاجتماعيّة والتربويّة والثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة واللغويّة وغيرها من المجالات، كان الشيخ الفضلي يتبع المنهج التربويّ نفسه في الإجابة عن تلكم الاستفسارات، ولذلك تجد إجاباته تتسم بالمنهجيّة، وكان دائمًا يركز على خبرات الآخرين في تلك المجالات المختلفة ليمنح السائل أفقًا واسعًا.

ولكن لماذا هذا الإسهاب والشرح المطول عن سؤال قد تكفيه إجابة من كلمتين؟ في الحقيقة، إنَّ الشيخ الفضلي رحمه الله تعالى يفرغ عن تربية دينيّة إسلاميّة، قد تمتع بها ومارسها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واتبعه فيها أهل البيت عليهم السلام من خلال تعليم وتثقيفهم

أبنائهم وأصحابهم، وأفراد مجتمعهم. اتخذ الشيخ رضوان الله تعالى عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين قدوةً ونبراسًا في مسيرته الحياتية والتعليمية. لذا تجده يُعنى كثيرًا في تثقيف السائل والارتقاء به معرفيًا، لأنه رضوان الله تعالى عليه يعتبر ذلك السائل متفقهًا، وليس متلقيًا للفتوى فحسب، ويعدّه باحثًا، وليس متلقيًا للمعرفة فقط.

سادسا: بذل العلم والمعرفة:

وعلى صعيد بذل العلم والمعرفة، كان الشيخ الفضلي رضوان الله تعالى عليه يبذل الكتب والبحوث التي انتهى من تأليفها إلى الباحثين والمعنيين بموضوعها قبلَ طباعتها، وهي لم تزل مخطوطة بخطّ يده. كان يبذلها قربة لوجه الله تعالى، لأن هدفه من التأليف هو إنجاز المعرفة وبذلها والمشاركة بها في الارتقاء بالإنسان والمجتمع والأمة. وفي هذا السلوك منهج تربوي دأب (رضوان الله تعالى عليه) على إظهاره. وقد رأيت بعض المخطوطات المصوَّرة لدى بعض الباحثين، على سبيل المثال: «خلاصة علم الكلام»، و «مواقيت الحج»، و «رسالة في الخمس»، و «قراءة في كتاب التوحيد».

سابعا: المنهج التربويّ في محاضراته وندواته:

اتسم الشيخ الفضلي بالعمق المعرفي وسعة الاطلاع في كثير من المعارف الإنسانية، وامتاز أيضا بالدقّة في الطرح. لذلك عندما يتكلم عن موضوع معين في محاضرة أو ندوة، كان يحيط الموضوع بمعظم جوانبه المعرفيّة إنْ لم يكن جميعها. فيخرج من استمع إلى محاضرته بحصيلة معرفية، عالية الجودة.

اتبع الشيخ الفضلي منهجًا تربويًا وعلميًا في إلقاء موضوع المحاضرة أو الندوة، يشعرك وأنت تستمع إليه كأنك تقرأ كتابًا. فيبدأ دائما بطرح عناصر الموضوع، ومن ثمَّ يشرع في الحديث عنها، عنصرًا تلو الآخر. تتسم محاضراته وندواته بوحدة الموضوع، من حين أن يبدأ بتعريف

المصطلحات اللازمة لفهم الموضوع إلى أن يخلص إلى النتائج والتوصيات. ولدى الشيخ الفضلي القدرة على الالتزام بالمنهج العلمي في طرحه للموضوع في جميع أجزائه، ولذلك تجد محاضراته غير مشتتة. كما أن لديه القدرة الفائقة على ضبط الوقت.

وتتميز شخصية الشيخ الفضلي بالهدوء والسكينة، وهاتان القيمتان الإنسانيتان تنعكسان على أسلوبه في المحاضرة بطرحه الهادئ البعيد عن التشنج بكل صوره.

عرفت الشيخ الفضلي خطيبًا، لأول مرّة في جدّة في شهر محرم سنة ١٤١٠هـ وكان عنوان المحاضرة «الإمام الحسين عليه السَّلام عَبرة وعِبرة». وقد امتدت هذه المحاضرة إلى عشر ليالٍ. تناول الشيخ الفضلي في تلك الليالي العشر مفهوم العَبرة من خلال الوقوف على مأساة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم. وتناول مفهوم العِبرة من خلال دراسة المقاصد الكبرى لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

ثامنا: تشجيع الباحثين والمثقفين:

وعلى صعيد تشجيع الباحثين والمثقفين، قلّما تخلو محاضرات العلامة الفضلي وندواته من الأطروحات والرؤى الجديدة. وعندما يمر على بعض جوانب الموضوع التي لم تأخذ نصيبها من البحث والاستقراء كان يلفت نظر الباحثين والمثقفين، ويرشدهم إلى هذه الجوانب، ويشجعهم على طرق أبواب تلك الجوانب بالبحث والدراسة.

وكثيرًا ما وجد المثقفون والباحثون في محاضراته وندواته أفكارًا جديدة. وكانت تلك الأفكار نواة لبحوث ومؤلفات. وقد رأينا بعضًا من هذه الكتب والبحوث التي استلهمت فكرتها من محاضرات وندوات الشيخ الفضلي وندواته وقد عُني بنتاج الباحثين والمثقفين من خلال التقديم لكتاباتهم والتقريظ لنتاجاتهم الفكرية[٩]. وقد سرد الشيخ اليوسف - على سبيل المثال - بعض الكتب التي قدَّم لها الشيخ الفضلي، حيث سرد ٦٥ عنوانًا[١٠]. وصدر حديثًا كتاب بعنوان: «تقديمات لكتب وبحوث في الدِّين واللغة والثقافة

والتاريخ» يتناول فيه الكاتب أكثر من ١٦٠ تقديمًا كتبها العلامة الفضلي لكتب وبحوث في الدين واللغة والثقافة والتاريخ. وهذا الكتاب من إعداد وتنظيم الشيخ أحمد السمين، أستاذ الحوزة العلمية والجامعة[١١].

نتائج البحث

من خلال استقراء عينة مما كتبه الشيخ الفضلي في كتبه، وما قاله في محاضراته وندواته، يجد الباحث عدة جوانب تربوية في فكر الشيخ الفضلي. وفيما يلي بعض النتائج التي تُوصِّل إليها في هذا البحث:

١- اتسم فكر الشيخ الفضلي بكثير من الجوانب التربوية لتُشكل منهجًا تربويًا خاصًا به، وليس مجرد أسلوب تربوي.

٢- سر إبداع العلامة الفضلي وتميزه في نتاجه الفكري يرجع إلى وحدة المنهجية التربوية.

٣- تتمحور منهجية الشيخ الفضلي التربوية في الارتقاء بفكر الإنسان ووعيه في جميع المجالات المعرفية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

٤- أولى الشيخ الفضلي المناهج التعليمية الحوزوية والجامعية عناية خاصة، فقد سخّر كل إمكاناته وطاقاته العلمية والفكرية والمعرفية والتربوية، ليظهرها على أكمل وجه.

الهوامش:

١- الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث، ١٩٩٢م، ص ٤٩.

٢- الفضلي، عبد الهادي. التربية الدينية، ١٩٦٠م.

٣- الفضلي، عبد الهادي. دروس في فقه الإمامية، ط٢، ٢٠١٤م، مركز الغدير للدراسات والنشر: بيروت.

٤- الفضلي، عبد الهادي. مشكلة الفقر، ١٩٦٢م.

٥- الفضلي، عبد الهادي. العقل الجمعي وحوار الحضارات، ١١ رمضان ١٤١٩هـ في الموسم الثقافي الرمضاني في حسينية الناصر بسيهات.

٦- سورة فصلت، آية ٣٤.

٧- عبده، محمد، نهج البلاغة، ج٣، ص٨٤، دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت، لبنان.

٨- الفضلي، عبد الهادي. في انتظار الإمام، ١٩٦٨م.

٩- اليوسف، عبد الله أحمد. فن صناعة التقريظ: منهجية الدكتور الفضلي نموذجًا، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٩.

١٠- اليوسف، عبد الله أحمد. مرجع سابق، ص ٤٩-٥٦.

١١- السمين، أحمد. تقديمات لكتب وبحوث في الدين واللغة والثقافة والتاريخ، ط١، ٢٠١٨م، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.

ثبت المصادر

- القرآن الكريم.

١- أصول البحث، عبد الهادي الفضلي،، ١٩٩٢م.

٢- التربية الدينية، عبد الهادي الفضلي،، ١٩٦٠م.

٣- تقديمات لكتب وبحوث في الدين واللغة والثقافة والتاريخ،إعداد وتقديم: أحمد السّمين، ط١، ٢٠١٨م، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.

٤- دروس في فقه الإمامية عبد الهادي الفضلي، ط٢، ٢٠١٤م، مركز الغدير للدراسات والنشر: بيروت.

٥- العقل الجمعي وحوار الحضارات، عبد الهادي الفضلي، ١١ رمضان

١٤١٩هـ في الموسم الثقافي الرمضاني في حسينية الناصر بسيهات.

٦-فن صناعة التقريظ: منهجية الدكتور الفضلي نموذجًا ، عبد الله أحمد اليوسف.. ، ط١، ٢٠٠٩م.

٧- في انتظار الإمام ، عبد الهادي الفضلي، ١٩٦٨م.

٨- مشكلة الفقر، عبد الهادي الفضلي،، ١٩٦٢م.

٩- نهج البلاغة، بشرح محمد عبده،، ج٣، دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت، لبنان.

النجف الأشرف حضور في دلالات أَربع عند العلَّامة الفضلي (1354_1434ه/1935_2013م)

السيد حسن كاظم الخليفة / طالب بحث خارج

تُعدُّ مدرسة النجف الأشرف من أقدم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي، ومن أكثرها سعةً وعمقًا، وهو ما تنماز به تلك الحاضرة التراثية العريقة، وما إلىٰ ذلك من انفرادات لا تُلتمس إلا في أروقتها العتيقة، وهي تعانق العصر في حراكها الدائب الصبور مع الطلبة والعلماء، دراسةً وتدريساً، ومع الأصالة والإبداع، بحثاً وكتابةً وتحقيقاً.

لتمرّ ألف سنة من عمر العراقة والعطاء علىٰ جامعة النجف الأشرف، مؤرخة بداياتها النوعية ـ كما هو الشائع ـ بما تعرَّض له الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) من هجوم السلاجقة علىٰ بغداد[١]. ومن التضييق عليه، بإحراق كرسي درسه، ومكتبته النفيسة سنة ٤٤٧هـ[٢]، ومن بعدُ، هجرته من بغداد الحضارة، ومن مدرستها المزدهرة بالتاريخ واللغة والأدب، والحديث والفقه والأصول، والمنطق والفلسفة والكلام، إلىٰ حيث باب مدينة العلم.

إلىٰ النجف الأشرف حيث يترعرع ذلك كله ـ كان وصول الشيخ الطوسي سنة ٤٤٩هـ حاملاً معه عبق المدرسة البغدادية في إرث أستاذيه:

الأول: تلميذ الرمانيّ (ت ٣٨٤هـ) من أعلام اللغة والنحو في تلك المدرسة، وهو الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ).

الثاني: تلميذ ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ) من كبار أعلام المدرسة البغداديّة في اللغة والنحو، وهو الشريف المرتضىٰ (ت ٤٣٦هـ)[٣].

وإذ يسجِّل العلَّامةالفضلي، لدىٰ اشتغالاته اللغويَّة علىٰ النحو العربيّ، مؤرخاً.. مجتهداً.. مفهرساً.. وأديباً.. ـ حضور مدرسة النجف الأشرف، فإنَّ في كلِّ اشتغال دلالة...

إنَّ وظيفة الرصد ـ هنا ـ لتلك الدلالات الأربع ـ تتجاوز التوصيف الخارجي لها، إلىٰ اكتشاف انتظامها الداخلي، ذلك الانتظام الذي يُجلِّي لنا النجفَ مدرسةً في فكر العلَّامةالفضلي، والفضلي عالماً في مدرسة النجف.

أولاً: دلالة اشتغال المؤرِّخ

في المرصدين الزماني والمكاني، يؤرخ العلَّامة الفضلي لـ«مراكز الدراسات النحويّة»[٤] عبر العصور والحواضر العلميّة، لنرىٰ في اشتغاله التاريخي ـ تجلِّياً آخر من تجلِّيات علم النحو العربيّ في مدرسة النجف الأشرف للقرن الخامس من الهجرة النبويّة الشريفة.

القيمة التاريخية لذلك التَماسِ النوعي بين النجف مدرسةً، والنحوِ مدرسياً ـ في عودة المشروع إلىٰ حاضرة المؤسس الأوّل لهذا العلم الجليل.

فالصحيفة التي أملاها بمدينة البصرة علىٰ أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) أمير المؤمنين علي (ع) (ت ٤٠هـ) لِستٍّ وثلاثين خَلَتْ من الهجرة النبويّة الشريفة[٥] ـ عادت إلىٰ النجف الأشرف يحملها الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) نَضِيجَةَ مدرستين:

- البصريّة في شموخها العقلي[٦].
- والكوفيّة في زخمها النقلي[٧].

وإذا بـ ﴿جَنَىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[٨]، إذ بهما ـ أعني المدرستين ـ وعبر علَمين من أعلامهما الكبار، وهما:

- أبو العباس المبرد البصري (ت ٢٨٥هـ).
- وأبو العباس ثعلب الكوفي (ت ٢٩١هـ).

تأسست المدرسة البغدادية، ليتعاهدها علماء أصائل في أجيال خصيبة، حتىٰ حضر علىٰ أبي الحسن الرمانيّ (ت ٣٨٤هـ) الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، وعلىٰ أبي الفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ) الشريف المرتضىٰ (ت ٤٥٦هـ)، وعليهما ببغداد كان حضور الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)[٩] الذي عاد مشبعًا بالمدرسي من البحث اللغويّ/ النحويّ هناك ـ إلىٰ كنف باب مدينة العلم، ليظهر تجلِّيه الجديد في مدرسة النجف الأشرف.

إنَّ لذلك الرصد التاريخيّ ـ فيما يخطُّهُ أستاذنا الشيخ الفضلي عن تاريخ النحو العربي كمفصل أساس من مفاصل الدرس اللغوي في النجف الأشرف ـ دلالة ذات قيمة، وقيمة تلك

الدلالة التاريخية في تجاوز تاريخيتها من رصد ووصف ـ فيما يقدمه شيخنا العلَّامةالفضلي ـ إلىٰ ما يرمي إليه بذلك التجاوز...؟

المدرسة النجفية في النحو

ـ رصد الحراك الاجتهادي:

الدرس اللغوي/ النحوي درسٌ أساس في النجف الأشرف؛ لكونه من مقدمات الدرس الشرعي، الأمر الذي جعله منهجًا من مناهج الدراسة فيها، والهاء في(فيها) تعود إلى: (مدرسة النجف)؛ ما يعني أن طرائق التفكير في تلك المدرسة الشامخة ـ بمقتضىٰ ثقافة الاستصحاب[١٠] ـ ستشتغل علىٰ المادة النحويّة اشتغالها علىٰ المادة الفقهيّة، وذلك بتجاوز التقليد إلىٰ الاجتهاد.

الأمر الذي يؤشر ـ ضرورةً ـ أنَّ الأصالة والإبداع سيصيران إلىٰ اللغة والنحو بما صارا إلىٰ الفقه وأصوله، في هذه الحاضرة العلميّة العامرة بالمتبحِّرين من أساطين العلم.

وهذا ما يسجِّله شيخنا العلَّامةالفضلي ـ مشيراً إلىٰ ناحٍ من نُحاتها الذين سلكوا في دراسة النحو مسلك الاجتهاد، إذ يقول:

«وألمع نحاتها ظهورًا وأوسعهم شهرة وأبعدهم صيتًا الرضي الاسترآبادي (ت ٦٨٨هـ) المعروف بـ(المحقق الرضي)، والملقب بـ(نجم الأئمة)، مؤلف شرح كتاب كافية ابن الحاجب المعروف بـ(شرح الرضي)، وشرح شافية ابن الحاجب.

وقد غطَّت شهرته علىٰ ما سواه من نحاة هذا المركز العلمي، وكفىٰ به عملاق فكرٍ امتاز بالأصالة والعمق.

وتمثل منهجه في كتاب (شرح الكافية) بانتهاج طريقة الاجتهاد التي عرفت بها النجف ولا تزال قائمة، وتتلخص في الخطوات التالية:

١- ذكر المسألة.

٢- استقصاء الأقوال في المسألة، وتتبع أدلتها التي ذكرها العلماء السابقون للباحث، والمعاصرون له.

٣- الموازنة بين الأقوال، والمقارنة بين

الأدلة.

٤- محاكمة الأدلة، ومناقشتها.

٥- اختبار الدليل الناهض بالإثبات، أو إضافة الدليل القائم بالحجة.

٦- النتيجة بتأكيد الرأي المختار، أو بتدعيم الرأي الجديد.

٧- بيان الإضافات الجديدة»[١١].

نتيجة هذا المنهج الاستدلالي الحرّ الذي اتبعه المحقق الرَّضي (ت ٦٨٨هـ) في شرح كافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) منسجماً مع تقاليد مدرسة النجف الاجتهاديّة ـ ستؤدي به إلىٰ الخروج بآراء انفرد بها بين النحاة، وهو ما التفت إليه قرَّاء الشرح متقدمين ومتأخرين.

عن تلك الانفرادات وما اجتلبته من شهادات ذوي الاختصاص ـ يقدِّم شيخنا الفضلي في كتابه (الدرس اللغوي في النجف الأشرف) عرضاً مسهباً، في أسلوب تحليلي، شيِّقٍ، دال، وهو إذ يضع الرَّضي في محيط المدرسة النجفيّة التي يصدر عنها، وبما يناسب موضوع القراءة، وهو الاجتهادات ـ راح يقرأ شيخنا الفضلي باشتراطات النقد في مقتضياته، ناظراً إلىٰ القول نقضاً وإبراماً، كنظر صاحبه إليه راح يقرأ تلك الاجتهادات اللغويّة النحويّة عند المحقِّق الرَّضي (ت ٦٨٨هـ)[١٢].

ومن دون أنْ يغفل ـ في تلك القراءة ـ عمَّا للمحقِّق الرَّضي من مكانة علميَّة عُليا في مدرسة النجف الأشرف تتجاوز ما اشتهر فيه، صرَّح مؤكِّدًا «أنَّ شهرته في علمي النحو والصرف غطَّت علىٰ جوانب بارزة في حياته كاجتهاده الفقهيّ، ومرجعيَّته في التقليد، وتضلعه في علمي المنطق والكلام»[١٣].

إنَّ ما تستبطنه المقبوسة الأخيرة ـ علىٰ قصرها ـ من العلَّامةالفضلي عن المحقِّق الرَّضي، هو التدليل علىٰ ما للفقاهة بمستواها المرجعيّ، العالي، العميق، من فتوح علميَّة في الدَّرس اللغويّ، وهي ما كانت لتكون لولا تلك المدرسة التي لا تنفك فيها اللغة عن الفقه، والفقه عن اللغة، في التعبير عن

نجفيَّتها بما يحمل ذلك التعبير الإبداعي الأصيل من مسؤولية المحافظة عليه، وتنميته عبر الوعي المنهجي الذي يقف وراءه.

والتركيز علىٰ الوعي المنهجي ما برح الشغل الشاغل لشيخنا العلَّامةالفضلي في كلِّ ما أنتجه من عطاء في هذا السياق طيلة نصف قرن من الزمان؛ إذ تجده دائمًا السبَّاق في الحضور حيث يكون المنهج[١٤]، كحضوره الدَّال في بحثه الدَّرس اللغويّ. حضور قد تحسبه يؤرِّخ لـ«الدَّرس اللغويّ في النجف الأشرف» عَبْرَ سرد أسماء الدَّارسين النجفيين لحقول اللغة عبر العصور، بينما هو كان عبر السرد ذلك كلّه، همَّه الأساس في البحث عمَّا تحقّق به مدرسة النجف الأشرف مدرسيَّتها، تلك المدرسيَّة التي بها تنماز عن غيرها من المدارس السابقة واللاحقة، عموديًّا وأفقيًّا، وهو المنهج الاجتهاديّ في أنماطه النجفيَّة الخاصة.

هكذا إذن، وبهذا النحو من الاشتغال التاريخيّ علىٰ اللغة/ النحو، عند شيخنا العلَّامةالفضلي، يتجلَّىٰ لنا علم النحو العربيّ «مدرسةً نجفيةً» ذات أصالة وإبداع لا يفارقان مستوىٰ الاجتهاد.

ثانيًا: دلالة اشتغال المجتهد

اللغة وأصول الفقه.. اجتهادات المدرسة النجفيَّة

من دلالة اشتغال المؤرِّخ في «الدَّرس اللغويّ» و«مراكز الدراسات النحويَّة»، إلىٰ دلالة اشتغال المجتهد في «دراسات في الفعل»[١٥]، سنرصد كيف تسجل الدِّراسات الأصوليّة اللغويّة، واللغويّة الأصوليّة ـ من جديد ـ في حضورها النجفي من المحقِّق الرَّضي إلىٰ العلَّامةالفضلي، معيَّتها الاجتهاديَّة، وبموضوعيّة وتجرّد كبيرين، لا رائد لهما غير العلم، بما يجعلنا نقف أمام النجف الأشرف بخشوع، وأمام مدرستها بتواضع...؛ نتأمل شموخها متعلِّمين.

ـ نحو دراسات مقارنة بين أصول الفقه والدراسات اللغويَّة:

في سياق المعالجة الاجتهاديّة

للدرس اللغويّ/ النحويّ، علىٰ شروط مدرسة النجف الأشرف ـ يشيد شيخنا العلَّامةالفضلي بتجارب علماء أصول الفقه اللغويَّة، داعياً إلىٰ دراستها دراسة مقارنة؛ كونها مما تقتضيه الضرورة لتطوير الدرس اللغويّ، مقرِّراً ذلك بقوله: «مارس علماء أصول الفقه في أبحاثهم ودراساتهم الأصولية عدداً من مفاهيم ومسائل اللغة، وذلك لوقوع الكثير منها في طريق استنطاق نصوص الكتاب والسنة.

وكان الكثير من تجاربهم العلمية المشار إليها متَّسمًا بالعمق والأصالة، ومنتهيًا إلىٰ نتائج ذات أهمية، مما يفرض علىٰ المعنيين بالدراسات اللغويّة والنحويّة أخذها بعين الاعتبار ضمن دراسات مقارنة ليستفاد منها في تطوير المادة اللغويَّة، نحويةً كانت أو غيرها»[١٦].

ـ (فعل الأمر) ليس فعلاً...!؟ :

تطبيقًا للمقارنة التي دعا إليها أستاذنا العلَّامةالفضلي، يقدم مناقشةً نقديةً لطرائق الاستدلال عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) في الكتاب، والتي هي موضع تسالم أغلب النحاة، بما يخصّ التقسيم الثلاثي للفعل:(ماضٍ، مضارع، أمر) حاذفًا الأخير من حزمة الأفعال؛ إذ لا (فعل أمر) في الجملة العربية...!؟

وهو ما التفت إليه الدرس الأصولي في النجف الأشرف، ذلك الدرس الذي يرىٰ في تعليل النحاة لعدِّهم (الأمر) من الأفعال؛ كونه شريكها في الدلالة الزمانية... ـ ضربًا من الخلط والاشتباه الذي اشتهر علىٰ ألسنتهم.

وبالتحديد، إنَّه القول الذي يذكره في (كفاية الأصول) الفقيه الأصولي النجفيّ الشيخ كاظم الخراسانيّ (ت ١٣٢٩هـ)، كما يشير شيخنا الفضلي ويعلِّق عليه بقوله: «وفحوىٰ القول المذكور هو أن استقراء أمثلة الفعل تنهي ـ وببداهة ـ إلىٰ أنَّ (الأمر) لا دلالة فيه علىٰ الزمان، وأنَّ دلالته مقتصرة علىٰ طلب إيقاع الفعل فقط»[١٧].

وعليه، يخلص العلَّامةالفضلي إلىٰ تأكيد

ما عليه أغلب علماء أصول الفقه في النجف الأشرف؛ كون مدرستها تظهر ـ بعطاء أولئك المجتهدين من علمائها ـ «المنهجَ الذي يلتقي وطبيعة اللغة كمادة نقليَّة، وهو منهج الاستقراء، وذلك بتتبع وملاحظة أمثلة الأمر.

ومنه نخلص إلىٰ أنَّ الأمر ليس فعلاً، كما يقول الأصوليون، وإنما هو أسلوب إنشائي، شأنه في ذلك شأن الأساليب الإنشائية الأخرى، من نهي واستفهام وشرط ونداء وغيرها»[١٨].

وهو- بوضوح شديد ـ رأي اجتهادي صريح، يخرق ما تسالم عليه أغلب النحاة منذ كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) حتىٰ اليوم من كون «الأمر» ـ وهو أسلوب إنشائي لا غير ـ قسيمًا فعليًّا للفعلين الماضي والمضارع.

ـ بناء الفعل المضارع ومخالفة الإجماع:

ينقل العلَّامةالفضلي من (شرح الكافية) للمحقق الرضي عبارته في استكراه الخروج علىٰ إجماعٍ يستحسن اجتهادُه الصِّرف، وتفكيرُه المتفرِّد الخروجَ عليه..!، إذ يقول ما نصَّه: «لولا كراهية الخروج من إجماع النحاة لحَسُنَ ادِّعاء كون المضارع المسمىٰ مجزومًا مبنيًّا علىٰ السكون»[١٩].

وهو- أعني العلَّامةالفضلي - إذ يُجلُّ في المحقِّق الرَّضي اجتهادَه الذي يحفظ له تفرُّدَه في الوصول إلىٰ رأي لا يخفيه، من أمثال النتيجة هذه التي لا تأتي إلا بما ينسجم مع طرائق الاستدلال والاستنباط في المدرسة النجفيَّة ـ يأخذ عليه استسلامه لما لا يوافق رأيه في المسألة هذه تحديدًا؛ كون ذلك الاستسلام مخالفةً صريحةً لمبناه الأصولي في قضية تحريك دليل الإجماع في مثل هذا الموضع...!

وباستغراب وتعجب، من اعتبار المحقِّق الرَّضي حجيَّة الإجماع غير المنقول ـ كان تساؤل شيخنا العلَّامةالفضلي، إذ يقول: «ولا أدري كيف يعتبر الشيخ الرَّضي مثل هذا الإجماع حجةً، وهو غير قائم علىٰ النقل عن العرب»[٢٠].

وبعد تفنيده مستند (الإجماع) في أدلّة المعربين للفعل المضارع لدىٰ النحاة ـ لا يستسلم الشيخ الفضلي لهذا النوع من الإجماع المدركي الذي استطاع أنْ يفكّك مرجعياته، ويفندها بآلة الاجتهاد، تلك الآلة التي ينبغي أن تعمل هي في الإجماع، لا أن يعمل هو فيها؛ كونها ممَّا لا ينبغي تعطيله بحال. كيف لا، وهو يصرِّح في (دروسه الأصولية): «إنَّ مثل الإجماع المعلوم المدرك، والمعروف المستند، لا اعتبار له عندنا ـ معاشر الإماميّة ـ في مجال الاستدلال، وإنَّما الاعتبار للمدرك أو المستند، ويعامل في الاستدلال به معاملة أمثاله من المدارك والمستندات»[٢١].

وإذا كان هذا في «دروس في أصول فقه الإماميّة» والأصول منطق الفقه ومنهجه في الاشتغال علىٰ إنتاج الأحكام الشرعيّة، فكيف لا يكون في منطق النحو، ومنهجه، في تلك «الأصول اللغويَّة» التي يعمل علىٰ تحريكها أستاذنا العلَّامةالفضلي في «دراسات في الفعل» لإنتاج حكم من الأحكام النحويَّة...!؟

إذ إنَّ الاستدلال في نتاج شيخنا العلَّامةالفضلي ـ يستجيب للمبنىٰ الأصولي من دونما فرق بين مواد البحث، فقهيّةً كانت أم لغويّةً.

وغير خافٍ «ألَّا احتياط مع الدليل»، هو من مباني شيخنا الفقيه الفضلي؛ وإذا كان ترك الدليل مخالفة، فإن تحكيم الاحتياط فيه تحكُّم لا أصل له، وليس له من منشأ غير الميل النفسي، ومتىٰ كانت الميول مصادر للاستنباط، فضلاً عن تحكيمها في المصادر المعتبرة التي لا تفتقر للإثبات...!؟

لذلك كان لأستاذنا العلَّامةالفضلي ما أراده من تفعيل العملية الاجتهادية، والتزام شروطها العلمية المتعارفة في مدرسة النجف الأشرف بحرية وتجرد يضمنان له الأصالة في الرأي، لينهي البحث ـ وإن خالف الإجماع ـ بالنتيجة التي أدىٰ إليها اجتهاده، وبثبات علمي لا يشوبه

التردُّد ـ يقول: «ونخلص من كلّ هذا إلىٰ النتيجة التالية، وهي: أنَّ جميع الأفعال مبنيَّة، وأنَّ الإعراب يختصُّ بالأسماء»[٢٢].

إنَّ ما رأيناه من صنيع شيخنا العلَّامةالفضلي هو عين ما كان يصنعه المحقِّق الرَّضي، فكلاهما يصدر عن النجف الأشرف ومدرستها الأصوليَّة في تناول بعض قضايا اللغة والنحو بما لا ينفك عن الاجتهاد.

وهو أيضًا ما كان يصنعه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه (الخصائص) الذي سار فيه علىٰ «منهج الفقهاء، والأصوليين، والمتكلمين، وعلماء رجال الحديث ومصطلحه، وسار علىٰ نسقهم في القول»[٢٣].

بيد أنَّ آثار ابن جني (ت ٣٩٢هـ) علىٰ الشريف المُرتضىٰ (ت ٤٥٦هـ) التي تركت أثرها علىٰ الشيخ الطوسيّ (ت٤٦٠هـ) ـ اشتغل عليها الاجتهاد النجفيّ لعدَّة لقرون تسير بها في صيرورة تستجيب لمتطلبات الحقب حتىٰ اللحظة الراهنة، بما لم تعد تعكس في جوهرها غير معالم المدرسة النجفيَّة للدرس اللغويّ الذي يرصده، عَبْر أعلامه، وفهارس مؤلفاتهم، شيخنا العلَّامةالفضلي في كتابه «الدرس اللغويّ في النجف الأشرف».

وذلك بعد أنْ يقدِّم لنا تجربة رائدةً وجادَّة في الفهرسة لكتب النحو في كتابه الموسوم بـ «فهرست الكتب النحويَّة المطبوعة»[٢٤]، ولذلك دلالة وأيَّما دلالة...!

ثالثًا: دلالة اشتغال المفهرس

-رجال الشيخ الفضلي

إذا كان الشيخ الطوسي ترك لنا كتابه «الفهرست» في معرفة رواة الحديث، بعدَ كتابه الموسوم بـ«رجال الشيخ الطوسي» صونًا لعلم الحديث عبر معرفة رجاله، فإنَّ الشيخ الفضلي في كتابه «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» ترك لنا أشكالاً من التعريف العام بالنحاة، واشتغالات اللغة والنحو رجالاً وطبقاتٍ، مدارسَ واختصاصاتٍ،

مصادرَ ومصنفاتٍ، بادئًا ـ فيما يختصُّ بمدرسة النجف الأشرف ـ بالشيخ الطوسي نفسه، فالمحقِّق الرَّضي، حتىٰ آخر اسم يرد تحت رقم (٢٠٨) في هذا (الفهرست) من (رجال الشيخ الفضلي) في (الدرس النجفيّ للغة والنحو) ـ كما يحلو لي أنْ أسمِّيه هنا ـ وإلَّا فهو يسير مع رجالات النحو العربيّ منذ نشأته بالبصرة حتىٰ دخوله إلىٰ حاضرة النجف الأشرف.

أليس في هذا النحو من الاشتغال بالفهرسة، ورجال العلم، من الشيخ الطوسي إلىٰ الشيخ الفضلي في مدرسة النجف الأشرف من دلالة علىٰ ما لتلك المدرسة العريقة الشامخة من أصول وتقاليد لا تنفك عنها مهما كان نوع المادة المدروسة...؟

وأيُّ سرٍّ هو في هذه المدرسة التي مازالت ـ فقهًا كان ما تدرس، أم لغةً ونحوًا ـ لا تقتنع بأدنىٰ من مستوىٰ الاجتهاد...!؟

إنَّه الإبداع الذي سيجد تجلِّيه الأصيل في حضور مدرسة النجف الأشرف عَبْرَ اجتراح دربٍ بكرٍ من الجهد المختصّ، تصنيفًا، وتوصيفًا، وتحليلاً، في «فهرست الكتب النحوية المطبوعة»[٢٥]، لشيخنا العلَّامةالفضلي.

-فهرست الكتب النحويّة المطبوعة

وصل ـ في هذا الفهرست ـ عدد ما أحصاه شيخنا العلَّامةالفضلي من الكتب النحوية المطبوعة إلىٰ (١٢٦٥) عنوانًا عبر مسح ببليوجرافي لما استطاع الوصول إليه من المطبوع النحوي في أرجاء العالم منذ بدء الطباعة حتىٰ عام ١٩٨٤م[٢٦].

وهو جهد مضنٍ لا يعيه إلَّا من حاول الاقتراب من هذا الشّكل من التصنيف الببليوجرافي، وذلك؛ لأنَّ «موضوع الفهرسة ـ كما يعرف من كابده وعانىٰ فيه ومنه ـ وعر الطريق شائك المسلك مخيف المسرى.

وعرٌ..؛ لأنَّه لم يمهّد حتىٰ الآن بإصدار ما يعرِّف كلّ ما ينشر من نتاج فكري نحوي.

وشائكٌ؛ لأنَّ ما نشر من قوائم مفهرسة ـ علىٰ قلَّتها ـ لم يدقَّق فيها، ولم يتحقَّق من صحة ما ينشر فيها، ومن هنا ـ كان الاعتماد عليه لا يخلو من مزالق.

ومخيفٌ؛ لقلة السالكين فيه، وقد يعود ذلك إلىٰ قلة الوعي لأهمية أمثال هذه الأعمال»[٢٧].

بيد أن الوعي المنهجي الذي يتمتع به شيخنا العلَّامة الدكتور الفضلي ـ كان رائده في خوض مثل هذه اللجج متخطيًا الصعوبات كلَّها، بمثابرة المجتهدين، وصبرهم؛ من أجل القيام بمثل هذا العمل الإبداعي الذي يسدّ حاجات البحث الضروريَّة متوخيًا تحقيق أهدافه في:

١- الاطلاع علىٰ ما نشر من التراث النحويّ العربيّ، فيعاد نشر ما لم يستكمل شروط التحقيق العلميّ وعناصره، ويكتفي بما استوفىٰ ذلك فلا يكرّر تحقيقه.

٢- الاطلاع علىٰ ما نشر من بحوث ودراسات نحويَّة فيها المفيد من الجديد في العرض، أو الرأي، أو النقد، أو الموازنة؛ ليستفاد منه في البحث والتأليف، والتربيّة والتعليم.

٣- وضع قائمة بالمصادر والمراجع النحويَّة المطبوعة أمام الدارس والباحث، من أساتذة النحو وطلابه وشداته، أو من غيرهم، من أمثال المتخصصين في علم المكتبات، والمعلومات، فيفيدون منها في معرفة التطور التاريخي لطبع الكتاب النحوي»[٢٨].

تلك القائمة من المصادر والمراجع التي تجد شكلها الخاص فيما أثبته شيخنا العلَّامة الفضلي في هذا الكتاب من مؤلفات مدرسة النجف الأشرف في اللغة والنحو عبر العصور.

والتي تجد شكلها العام فيما طبع في العالم من المؤلفات النحويَّة لكلِّ من كتب في هذا العلم بلا تخصيص، غير أنَّ مدرسة النجف الأشرف كانت حاضرة أيضًا فيما طبع من تلك المؤلّفات المثبتة في كتاب «فهرست الكتب

النحويّة المطبوعة» لأستاذنا العلَّامة الفضلي، وكانت مدرسة النجف الأشرف أشد حضورًا في تمثُّل روح الاجتهاد فيها عند شيخنا العلَّامة الفضلي نفسه؛ فما هو ـ في نتاجه هذا، وفي مثله ـ إلَّا نموذج حي لتلك الذهنيَّة الوقَّادة التي تتحرك بها عجلة الاجتهاد شموليّةً وعمقًا في مدرسة النجف الأشرف.

إنَّ القراءة التي قدمها أستاذنا الشيخ الدكتور الفضلي للجهود النحويَّة ما بين عصر سيبويه (ت ١٨٠هـ) وهذا العصر عبر «الفهرست» في الكتاب المطبوع متجلِّيًا بأشكال ومضامين شتى، عبر وصف لا يخفي ما خَلْفه من تفكيك وتحليل، وما أَمامه من تركيب وبناء، وما فيه من تدبُّر واجتهاد لا يبرحان اشتغالاته ـ لَتدعونا، مثل تلك القراءة، إلىٰ تأمل الملَكة التي يُعملها العلَّامة الفضلي في النتاج النحوي عبر هذا الرصد.

ـ رصد النتاج النحوي شكلاً ومضمونًا:

علىٰ أساسٍ من المعيار الذي ارتآه أستاذنا العلَّامة الفضلي في تحليل ما أخرجته الطِّباعة إلىٰ سوق الكتاب العالمية في النحو من مؤلفات لا يوحِّدها غير النحو علمًا ـ كان التفكيك وإعادة التركيب لعنوانات تلك المؤلفات في تصنيف ينظر إليه من زاويتين إلىٰ الكتاب النحويّ المطبوع ليتجلىٰ للدارسين في هذا الفهرست علىٰ صعيد الشكل، وعلىٰ صعيد المضمون.

أ ـ الكتاب النحوي علىٰ صعيد الشكل:

١- الكتاب العلميّ الاستدلالي، وذلك مثل:(الكتاب) لسيبويه (ت ١٨٠هـ).

٢- المتون النحويَّة، وذلك مثل:(الكافية) لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ). ومن المنظوم مثل: (الألفية) لابن مالك (ت ٦٧٢هـ).

٣- شروح المتون، وذلك مثل: (شرح الكافية) للمحقِّق الرَّضي (ت ٦٨٦هـ)، ومن شروح المتون المنظومة مثل:(شرح ألفية ابن مالك) لابن الناظم (ت ٦٨٦هـ).

٤- حواشي الشروح، وذلك مثل(حاشية الصبان) لمحمّد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) علىٰ شرح الأشموني (ت ٩٢٩هـ) لألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ).

٥- حواشي الحواشي، وذلك مثل حاشية (ياسين العليمي) لياسين الحمصي العليمي (ت ١٠٦١هـ) علىٰ (حاشية الأزهري) علىٰ (أوضح المسالك) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).

٦- التقريرات علىٰ الحواشي، وذلك مثل:(تقريرات الأنبابي) لشمس الدِّين الأنبابي (ت ١٣١٣هـ) علىٰ (حاشية السجاعي) للسجاعي (ت ١١٩٧هـ) علىٰ (شرح قطر الندى) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).

٧- التقييدات، وذلك مثل:(مقيِّد قواعد الإعراب) لعدة من العلماء.

٨- الخلاصة، وذلك مثل: (الخلاصة) المعروفة بألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، وهي تلخيص لمنظومته الكبرىٰ الموسومة بـ(الكافية الشافية).

٩- المختصر، وذلك مثل:(مختصر مفيد في أصول الصرف والنحو) لسليم حسون الموصلي (ت ١٣٦٦هـ).

١٠- التعليق، وذلك مثل:(تعليقة علىٰ البهجة المرضية) للأصفهاني (ت ١٢٣٨هـ).

١١- الأمالي أو المجالس، وذلك مثل:(مجالس ثعلب) لأبي العباس ثعلب الكوفي (ت ٢٩١هـ)، و(أمالي الزجاجي) لأبي القاسم الزجاجي البغدادي (ت٣٣٧هـ).

١٢- الرسائل، وذلك مثل:(رسائل السيوطي) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

١٣- المسائل، وذلك مثل:(فوح الشذا في مسألة كذا) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).

١٤- المجموعة، وذلك مثل: (جامع المقدمات)، ويحوي مجموعة متون لعدة مؤلفين.

١٥- الدراسات والبحوث، وذلك مثل: (بحث في الأفعال الملازمة للمجهول بين النحويين واللغويين) لمصطفىٰ النحاس.

١٦- المذكرات، وذلك مثل:(مذكرات في

قواعد اللغة العربيَّة) لسعيد الأفغانيّ (ت ١٤١٧هـ).

١٧- المختارات، وذلك مثل: (مختارات في النحو والصرف) لمنىٰ إلياس.

١٨- السؤال والجواب، وذلك مثل:(المسائل البغداديات) لأبي علي الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ).

ب ـ الكتاب النحويّ علىٰ صعيد المضمون:

١- القواعد، وذلك مثل:(القواعد الثلاثون في علم العربية) لشهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ).

٢- الشواهد، وذلك مثل:(شرح أبيات سيبويه) لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ). و(الشواهد) لأبي المعالي الحسينيّ (ت ١٣٤٢هـ).

٣- الخلاف، وذلك مثل:(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ).

٤- المقارن، وذلك مثل:(المفصل في علم النحو والصرف المقارن للغات السامية) للمستشرق الألماني كارل بروكلمان Carl Brockelmmann (ت ١٩٥٦م).

٥- الأصول، وذلك مثل:(الأصول: دراسة إبستمولوجية لأصول الفكر اللغويّ العربيّ: النحو، فقه اللغة، البلاغة) لتمّام حسان.

٦- الإعراب، وذلك مثل:(إعراب لامية الشنفرى) لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ).

٧- التطبيق، وذلك مثل: (تطبيقات نحوية وبلاغية) لعبد العال سالم مكرم.

٨- علاقة النحو بالعلوم الأخرى، وذلك مثل:(البحث النحوي عند الأصوليين) لمصطفىٰ جمال الدين (ت ١٤١٧هـ).

٩- الرد والنقد، وذلك مثل:(الرد علىٰ النحاة) لابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ).

١٠- الموضوعات المنفردة، وذلك مثل:(اللامات) لأبي القاسم الزجاجيّ البغداديّ (ت ٣٣٧هـ).

١١- حروف المعاني، وذلك مثل:(الجنىٰ الداني في حروف المعاني) لابن أم قاسم

المراديّ (ت ٧٤٩هـ).

١٢- التاريخ، وذلك مثل:(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) لجلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ).

إلىٰ غيرها مما ألمح إليه:

من أشكال:

- كالمعجم، وذلك مثل:(المعجم الوافي في أدوات النحو العربي) لعلي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزعبي.

- والفهرست، وذلك مثل:(فهارس كتاب سيبويه ودراسة له) لمحمد عبد الخالق عضيمة.

وغيرهما.

ومن مضامين:

كالأحاجي والألغاز، وذلك مثل:(الألغاز النحويّة) لجلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ). و(الأحاجي النحوية) لجارالله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ). وغيرها، يراها الباحث في المؤلفات النحويَّة، وهي تؤلف مادة علميَّة خصبة للكتابة في (التأليف النحويّ)»[٢٩].

ـ بين اللغة والشريعة:

إذا كانت اللغة العربية وعاء الشريعة المقدسة كتابًا وسنةً، وكنَّا في النجف الأشرف حاضرة الإمام علي (ع) سيد البلغاء والمتكلمين بعد رسول الله (ص)، وباب مدينة علمه الموحىٰ ـ فإنَّ ما بين اللغة والشريعة من صلة لا يمكن تصور عدمها؛ ما يعني أن البلاغة والبلاغ في تماهٍ شديد، لا يدرج السالكون إليهما غير نهج واحد.

من تلك الوحدة كان النهج فيما حفظ الرواة لأمير المؤمنين (ع) في نهج بلاغته الذي ما زالت أصداؤه في الأجواء من جامع الكوفة إلىٰ جامعة النجف، وما زال الحافُّون بعلي (ع)، الداخلون إلىٰ الشريعة من بابه، يتحسسون أسوارها بلغته، يدور معها ما دار مع القرآن، ومعهما السنَّة في قول النبي محمد (ص)، وبوحدة لا تتعدد بين اللغة/ النصّ، والنصّ/ اللغة.

ذلك ما يفسر احتفاء مدرسة النجف الأشرف باللغة العربيَّة وعلومها،

احتفاءها بالشريعة وعلومها، وتخريجها كبار الأدباء والشعراء، كما تخرج كبار العلماء والفقهاء.

ولذلك أيضًا، كانت الإشارة إلىٰ الاقتران بين اللغة ونحوها، والشريعة وفقهها، حتىٰ علىٰ مستوىٰ الشكل وطرائق التأليف، إشارة (ضروريّة) بهذا التنبيه الذي ختم به شيخنا العلَّامة الفضلي حديثه عن المؤلفات النحويَّة، إذ يقول: «ومن الضروري أن أنبِّه ـ هنا ـ إلىٰ أن مثل هذا التأليف النحويّ كان شائعًا في مؤلفات العلوم الشرعيّة أيضًا، وبخاصّة علم الفقه، وقد يفترق المؤلِّف النحويّ عنها في مثل الإعراب والشواهد»[٣٠].

إشارة هي أيضًا إلىٰ ما تنماز به مدرسة النجف الأشرف في تجاوز إشكالية الشكل والمضمون حين يتماهىٰ اللغوي بالشرعيّ، والشرعيّ باللغويّ، ويبلغ الذرىٰ حين تنعدم الحدود بين الأديب في أدبيَّته، والفقيه في فقهيَّته، فيشرقان في واحديَّتهما بواحد أيَّما إشراق.

ومن هنا، كان اشتغال الأديب في النجف الأشرف ومدرستها ليس بغريب، وأن يتمثل شيخنا العلَّامة الفضلي ذلك الاشتغال، لَهو من صدق الوصال، ولذلك دلالة، وأيما دلالة...

رابعًا: دلالة اشتغال الأديب

يكمن الانتظام الداخلي في الدلالات الثلاث المارة تورخةً، واجتهاداً، وفهرسةً ـ في كون التورخة استعراضًا للتجارب الاجتهادية، والسائرة في دربها، عموديًّا وأفقيًّا؛ لوعي تطورها وعيًا يضع العلماء في اتجاه تحاشي الأخطاء، وفي آفاق التواصل مع الصوابات لاكتشاف الأساسات التي يمكن أن تبنىٰ عليها التجارب الاجتهادية الجديدة، بما يستجيب لشروط الإبداع.

ولا يخفىٰ ما لاشتغال الفهرسة من صلة مسيسة بتلك الشروط؛ كون المبدع لا يُقبل علىٰ بحث عمل مكرور، ولا علىٰ الكتابة فيه، ولا يَقبل أن يكون رقمًا في تراكم، إنه يطمح أن يكون له

عطاؤه الذي يضيف لعطاءات سابقة إضافة نوعية، وذلك مما توفره جهود الفهرسة للباحث الأصيل.

فلتلك الاشتغالات أبعاد تتكامل فيما بينها عند شيخنا العلَّامة الفضلي لتدلّ علىٰ ما تتوفر عليه مدرسة النجف الأشرف، ولا تدلُّ علىٰ ما تنماز به تلك المدرسة التراثية العريقة من دون انضمام البعد الرابع لتلك الاشتغالات، وهو اشتغال الأديب.

إن الانتظام الداخلي للاشتغال الأخير مع الاشتغالات السابقة فيما يتمثله العلَّامة الفضلي من مدرسة النجف الأشرف ـ هو في كونه استجابة لشرط من شروط الإبداع فيها، وهو إدراك ما بين البلاغة والبلاغ من تماهٍ لا يدرك إلا بتمثُّل روافع الأدب بما يكوِّن الملكة الأدبيَّة التي يستعان بها علىٰ تنضيج ملكة الاجتهاد.

الأمر الذي يعيه كل من اشتغل علميًّا ضمن شروط مدرسة النجف الأشرف الاجتهاديّة مثل شيخنا العلَّامة الفضلي، الذي رأيناه يسير في اشتغالاته اللغويّة:

١- من التاريخ في «مراكز الدراسات النحويَّة».

٢- إلىٰ الاجتهاد في «دراسات في الفعل».

٣- وإلىٰ الفهرسة في «فهرست الكتب النحويَّة المطبوعة».

٤- ثم إلىٰ الأدب كما سنراه في «أعراف النحو في الشعر العربيّ»[٣١].

٥- وإلىٰ لفيف من ذلك كله في «الدرس اللغويّ في النجف الأشرف».

أعراف النحو في الشعر العربيّ

للنحو أن يذهب إلىٰ الشواهد مستولدًا منها القواعد في لغة اصطلاحيّة يعرّفها المشتغلون بهذه الصناعة.

وتبقىٰ لغة المصطلح النحوي، وما يتصل بعالمه، مما تعارف عليه النحاة من أعراف نحويّة، تبقىٰ حبيسة أسفار أصحاب تلك الصناعة، حتىٰ يطلقها المشتغلون بالأدب ممن خبروا تلك الصناعة إلىٰ عوالم أخرىٰ لمقاصد وغايات وأهداف «بهذا اللون

من ألوان الشعر العربيّ، وما فيه من استملاح واستمتاع، ورياضة عقليّة ذات عطاء»[٣٢].

عقل المشتغل باللغة والشريعة يحتاج إلىٰ تلك الرياضة، كما تحتاج نفسه إلىٰ ما في تلك الرياضة العقليّة من (استملاح واستمتاع).

من واقع إشباع تلك الحاجيات كان ذلك العطاء في مدرسة النجف الأشرف التي تدرك ما للكبت، والتزمُّت، وتصنّع (الوقار) المتصيّد في غير مواضعه ـ من آثار سلبيّة تعمل علىٰ تعقيد العملية الاجتهاديَّة، والإيقاع بشروط انفراداتها بحرمانها مما لا تصل إليه إلا بسلوك هذا النهج الذي تنماز به مدرسة النجف الأشرف، والذي هو ـ بحق ـ من عوامل إبداعاتها التي ينبغي لدارسي تجربة النجف الاجتهاديَّة الالتفات إليه، ودراسة ما يضمر من دلالات.

وإذ يُثبت شعرَ لفيفٍ من الشعراء العرب، شيخُنا العلَّامة الفضلي في «أعراف النحو...» التي ترصَّدها في تلك النصوص الشعريّة ملفتًا إلىٰ ما تضمره من دلالات يتلمَّسها كل من يتأمل فيها من مرجعيات الاختيار ـ والاختيار بحد ذاته نقد ضمني ـ في قوله:« وتربو عدّة ما احتواه هذا الكتيب من أبيات شعرية علىٰ ثلاثمئة، تنتمي لأكثر من تسعين شاعرًا»[٣٣] ـ فإنَّه، وفي الدَّلالة الأخصّ، نتلمَّس حضور النجف الأشرف في شعرائها، ومنهم كان:

- المرجع السيِّد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)[٣٤].

- الفقيه السيِّد محمّد جواد العاملي، صاحب (مفتاح الكرامة) (ت ١٢٢٦هـ)[٣٥].

- الحكيم الشيخ محمد جواد الجزائريّ (ت ١٣٧٨هـ)[٣٦].

- الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبي (ت ١٣٨٥هـ)[٣٧].

وإذا كان الشيخ الشبيبي ـ وهو من كبار شعراء النجف الأشرف ـ عالمًا لغويًّا مرموقًا له كتابات دالة علىٰ ما لمدرسة النجف الأشرف من أصالة

وإبداع، وهي:

١- أصول ألفاظ اللهجة العراقيَّة.

٢- لهجات الجنوب.

٣- المأنوس من لغة القاموس[٣٨].

فإن الشيخ الجزائري ـ وهو من أعلام الفلسفة الإلهيَّة في النجف الأشرف ـ كان عالمًا نحويًّا، له من الكتب في النحو العربيّ دراسةً ونقدًا:

١- حاشية علىٰ شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك.

٢- نقد الاقتراحات المصريَّة في تيسير العلوم العربيَّة.

الكتاب الذي علَّق عليه، وعلىٰ صاحبه ـ شيخنا العلَّامة الفضلي بقوله: «والشيخ الجزائريّ في هذا الكتاب الذي هو مناقشة للمقترحات التي تقدَّم بها ثلة كريمة من علماء وأدباء العربيَّة في مصر، وعلىٰ رأسهم الدكتور طه حسين لتيسير المادة النحويَّة في المقررات الدراسيَّة والتعليميَّة في المدارس والمعاهد ـ يوقفنا علىٰ حضور النجف في كل قضايا اللغة العربيَّة، ومتابعتها للتطور العلميّ في الأوساط العلميَّة العربيَّة»[٣٩].

وإذا كان الشبيبي والجزائري من شعراء (الأعراف النحويَّة)، فإنَّهما علمان من أعلام اللغة والنحو في النجف الأشرف، وشاعران، لكلٍّ منهما ديوان مطبوع.

فإنَّ الفقيه السيِّد بحر العلوم ـ وهو من كبار مراجع التقليد في النجف الأشرف ـ له منظومات، مثل:

- الدرَّة النجفيَّة (أرجوزة في الفقه).

- الدرَّة البهية (نظم رؤوس المسائل الأصوليّة)[٤٠].

وما تلك المنظومات إلا لشديد الصلة ما بين الشرعي والشعري في مدرسة النجف الأشرف، وإذا كانت تلك (منظومات)، فإنَّ للمرجع السيِّد مهدي بحر العلوم (ديوان شعر)، وهو ـ بلا ريب ـ مما يثري فقاهته، وينضج صلته بالنصِّ، الأمر الذي يحرص عليه فقهاؤنا الأوائل، وليس أشهر من علم الهدىٰ الشريف المرتضىٰ (ت ٤٣٦هـ) الذي ترك

لنا تراثًا ضخمًا من الاشتغال الشرعي والشعري.

وإذا كان لكلٍّ من الشيخ الشبيبي (ت ١٣٨٥هـ)، والشيخ الجزائري (ت ١٣٧٨هـ)، والسيِّد بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ) ديوان شعر، فإنَّ تلميذ الأخير، السيِّد العاملي (ت ١٢٢٦هـ) ـ وهو من كبار فقهاء النجف الأشرف ـ لم يعرف له ديوان شعر، إلَّا أنَّ ذائقته الرَّفيعة تتجلَّىٰ في كتابه الفقهي الشهير (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلَّامة)، وهو -أعني الذوق الرفيع - ممَّا تنماز به مدرسة النجف الأشرف فقهيًّا وأصوليًّا ولغويًّا، علىٰ أنَّه إذا لم يترك السيِّد العاملي ديوان شعر لا يعني أنَّه ليس بشاعر؛ ولذلك كان له موقعه في (شعراء الأعراف) لدى شيخنا العلَّامة الفضلي، وذلك في هذه الحكاية بين التلميذ وأستاذه التي تعكس من خلال الاشتغال الأدبي/ الشعري علىٰ المصطلح النحوي ـ ثقافة النجف الأشرف، ومنظومة قيمها، اللتين توفران للدارسين مادة من دونها لا يمكن فهم مدرسة النجف الأشرف فهما متكاملاً:

ـ بين السيِّدين بحر العلوم والعاملي:

«يحكىٰ أن السيِّد محمَّد مهدي بحر العلوم المرجع الديني دفع ذات يوم إلىٰ تلميذه السيِّد محمّد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة) شاميين [من النقود العثمانية] ليدفعهما إلىٰ بعض المشايخ المحتاجين من طلبة العلم...، وبعد أن دفعهما إليه، عاد ليخبر السيِّد بذلك فلم يجده، فكتب رقعة لإعلامه، ووضعها في المكتبة، وصورة ما كتبه في الرقعة:

(الشاميين دفعتهما) ثم أمضاها بمهره.

فاتفق أنَّ المهر كان معكوساً، فلما رآها السيد كتب تحتها البيت التالي:

المهرُ في الكتابِ جاءَ منعكسْ

والمبتدا المرفوعُ جاءَ منتكسْ

ولمَّا وقف السيِّد محمَّد جواد علىٰ ذلك كتب تحته البيتين التاليين:

قد عكسَ المهرَ اختلالُ وهمي

إذ لم يكن لي فيهما من سـهمِ
والمبتدا المرفوعُ لما عُـرضا
علىٰ الشريفِ العلويِّ انخفضَا»[٤١]

ـ شعريَّة المصطلحات العلميّة في مدرسة النجف الأشرف:

تكمن الشعريَّة ـ هنا ـ في الدعابة، والطرافة، وروح النكتة، وتلك في الصميم من الثقافة النجفيّة، وقيمتها فيما تبدع من تقنيات التناول التي تجد في مادة الدرس من لغة، ونحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، وتفسير، ورجال، وحديث، وفقه، وأصول، ومنطق، وفلسفة، وحكمة، وعرفان، وما تزخر بها تلك المواد العلميّة، من مصطلحات تظهر عفويًّا، ومن دون تكلف، في لغة الشعر، بيد أنَّها تقول أشياء، غير ما تقولها اللغة المباشرة.

إنَّها تعكس ثقافة النجف الأشرف، وقيمها، وبما يغاير المألوف، يدخل المصطلح العلمي، كما شاهدنا ـ هنا ـ كيف يدخل المصطلح النحوي (المبتدأ، الرفع، الخفض) في جُماع النص؛ لتدشين دلالات جديدة بوساطة طاقة الانزياح...!

فالمهر، وهو الختم الشخصي الذي يوقّع به علماء النجف الأشرف رسائلهم، وإجازاتهم العلميّة ما يعني قيمته التوثيقية، ومصداقيته الاجتماعية العالية اللتين تقتضيان أنْ يظل سويًّا مرفوعًا، لا منتكسًا معكوسًا، إلَّا أنَّه انعكس وانتكس لانتكاس المبتدأ الذي من حقه الرفع؛ كونه عمدة، وذا شرفٍ عالٍ، بحسب النحو المعتَّق، واعتباراته التي تصدر عن بنية فكرية/ ثقافية تَكاملَ بناؤها المدرسي، من البصرة إلىٰ الكوفة إلىٰ بغداد إلىٰ النجف الأشرف.

ما يلمح إليه السيِّد بحر العلوم، في أفق اطلاعه علىٰ تلامذته، وتقشفهم، وزهدهم في الدنيا إخلاصًا لطلب العلم في سبيل الله، علىٰ الرَّغم مما ينتابهم من حالات لا تطاق، قد تبدو علىٰ الحال، بما لا تحتاج إلىٰ السؤال...!؟

فهل افتضحت الحال تلميذه السيِّد العاملي فاختل مقام ما حقه

الرفع إلىٰ الخفض من مبتدأ رتبته التقديم، وانعكس خاتم السيِّد إنباءً بانتكاس الحال..!!؟

رسائل مضمرة يلتقطها الحصيفون في العلم والأدب في مدرسة النجف الأشرف بما تشكل من شِعريَّات في تلك الرسائل وأمثالها تغني الأدب العربي لدىٰ وعيها ودراسة تقنياتها.

ليأتي توصيف تلك الحال من السيد العاملي لأستاذه السيد بحر العلوم توصيفًا نفسيًّا: «قد عكس المهرُ اختلال وهمي»، وفي بوح خاطف يوصل معلِّلاً ـ بدعابة وذكاء ـ لأستاذه: «إذ لم يكن لي فيهما من سهم»، والضمير في: «فيهما» يعود إلىٰ النقود العثمانية «الشاميين».

تلك ـ بلا ريب ـ قيمة أبويَّة بين المربي ومريديه في النجف الأشرف؛ يتوِّجها حسن التعليل في قوله الجميل:

«والمبتدا المرفوع لما عُرضا / علىٰ الشريف العلوي انخفضا»

إذ فيه ما فيه من الإجلال الكبير لمكانة المخاطَب السيِّد بحر العلوم من تلميذه؛ كونه الأستاذ، وتلك قيمة أَيضًا؛ وكونه شريفًا سيدًا علويَّ النسب ـ فتلك قيمة أخرىٰ تنضاف إلى منظومة القيم في مدينة الإمام علي (عليه السَّلام).

رسائل أراد لنا أنْ نتعرف فيها شيخنا العلَّامة الفضلي بـ«أعراف النحو..» وجه من وجوه مدرسة النجف الأشرف، وإذ تعرَّفنا ما أراد ـ تعرَّفنا أيضا اشتغال الأديب في شيخنا الفضلي، وعلىٰ دلالة ذلك الاشتغال فيما يتصل بما نحن فيه من دلالات المؤرخ والمجتهد والمُفهرِس، وعلىٰ النجف الأشرف، ومدرستها العريقة، في تلك الدلالات الأربع عند شيخنا العلَّامة الفضلي.

ـ تجليات الانتظام للدَّلالات الأربع

وهكذا رأينا في ذلك كلِّه ـ كيف تجلَّىٰ الانتظام الداخلي لتلك الدَّلالات الأربع (تاريخًا واجتهادًا وفهرسةً وأدبًا) في:

١- النجف مدرسةً في فكر الفضلي.

٢- الفضلي عالمًا في مدرسة النجف.

وكيف أنَّ كتابًا يرصد «الدرس

اللغوي في النجف الأشرف» يأبى إلَّا أنْ ينكشف عن استناده إلىٰ رصيد مؤلفه الموسوعي الكبير أستاذنا العلَّامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (رضوان الله عليه).

وإلىٰ ما يسكن في وعيه المنهجي الفريد، مما تزخر به النجف الأشرف، ومدرستها الشامخة من رؤى، ومناهج، في اللغة والنحو، تنماز بها عن غيرها من المدارس في المجال ـ يجعلنا متأهبين لقراءة مغايرة، ومغيِّرة، بما يستجيب، بتوقٍ، ومتعةٍ، وفائدةٍ، إلىٰ الأصالة والإبداع في جذبات الاجتهاد.

الهوامش:

١- الفضلي: د. عبد الهادي، هكذا قرأتُهم، إعداد وتقديم : السيد حسن الخليفة، ج١، بيروت، دار المرتضى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٦.

والمغزى من اختيار كلمة (الشائع) تحديدا تراه مفصلا في دراسة الحكيم: د. حسن، الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢- الفضلي: د. عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي، تقديم: السيد حسن الخليفة (عضو لجنة مؤلفات العلَّامةالفضلي)، ط٢ ضمن (موسوعة العلَّامةالفضلي)، بيروت، دارة الغريين، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ج ١٤ ص ٣٢٥.

٣- الفضلي، د. عبد الهادي، الدرس اللغوي في النجف الأشرف بين القرنين الخامس والخامس عشر الهجريين، تقديم: السيد حسن الخليفة (عضو لجنة مؤلفات العلَّامةالفضلي)، ط٢، بيروت، مركز الغدير ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ص ٤٨.

٤- الفضلي: د. عبد الهادي، مراكز الدراسات النحوية، الأردن ـ الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥- الخليفة: حسن، شيء في النحو.. تاريخه وتطوّره، تقديم: الدكتور عبد الهادي الفضلي، الأردن ـ إربد، ١٩٩٢م، ص١١.

٦- انظر: السيد: د. عبد الرحمن، مدرسة

البصرة النحوية.. نشأتها وتطورها، العراق، توزيع دار المعارف، ١٩٦٨م.

٧- انظر: المخزومي: د. مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، بيروت، دار الرائد العربي، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٨- سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

٩- انظر: الدرس اللغوي في النجف الأشرف، م. س، ص ٤٨.

١٠- من مفهومات علم (أصول الفقه) التي تجلّت ـ هنا ـ في بُعدها الثقافي.

١١- مراكز الدراسات النحوية، م. س، ص ٦٨ ـ ٦٩.

١٢- انظر: الدرس اللغوي في النجف الأشرف، م. س، ص ٧٥ـ١٠٠، غير متغافل عن شذوذ رأي المحقق الرضي في قضية القراءات، ص٩٩، ينقده ويحيل في معالجة تلك القضية إلىٰ كتابه: (القراءات القرآنية.. تاريخ وتعريف).

١٣- انظر: م. ن، ص ١٠٤.

١٤- من الدراسات التي تناولت (الوعي المنهجي) بالرصد والتحليل عند العلَّامةالفضلي في نموذجه الكلامي: «تحرير العقل من نفسه.. قراءة في موقف العلَّامةالفضلي من جدل الأنماط، السيد حسن الخليفة، مجلة الكلمة، ملف خاص عن العلَّامةالفضلي، العدد ٥٥».

١٥- الفضلي: د. عبد الهادي، دراسات في الفعل، بيروت، دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وله مما يمثّل الاجتهاد اللغوي: «أسماء الأفعال والأصوات» ـ رسالة ماجستير ـ و«قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية» ـ أطروحة الدكتوراه ـ و«دراسات في الإعراب»، و«اللامات.. دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية»، وبعض الدراسات والمقالات المتفرّقة هنا وهناك.

١٦- دراسات في الفعل، م. س، ص ٤٦.ومن الدراسات في المجال كتاب/ جمال الدين : د. مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، قم، دار الهجرة،

ط٢، ١٤٠٥هـ وهو رسالة جامعية بإشراف د. مهدي المخزومي.

١٧- م. ن، ص ٥٠.

١٨- م. ن، ص ٥٤.

١٩- م. ن، ص ٦٩، نقلاً عن شرح الكافية للمحقق الرضي ٢/ ٢٢٣.

٢٠- م. ن، ص ٦٩.

٢١- الفضلي: د. عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، ج١، بيروت، مركز الغدير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢١٩.

٢٢- دراسات في الفعل، م. س، ص ٦٩.

٢٣- الأسعد: د. عبد الكريم محمد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٨٩.

٢٤- الفضلي: د. عبد الهادي، فهرست الكتب النحوية المطبوعة، الأردن ـ الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢٥- م. ن.

٢٦- م. ن، ص ٤.

٢٧- م. ن، ص ١٧.

٢٨- م. ن، ص ٣ ـ ٤.

٢٩- م. ن، ص ٥ ـ ١٦ باختصار وتصرّف.

٣٠- م. ن، ص ١٦.

٣١- الفضلي: د. عبد الهادي، أعراف النحو في الشعر العربي، جدّة، دار الوفاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٢- م. ن، ص ١٠.

٣٣- م. ن، ص ١٠.

٣٤- م. ن، ص ٥٧.

٣٥- م. ن. ص ٥٧.

٣٦- م. ن، ص ٤٢.

٣٧- م. ن، ص ٢٣، ٤١.

٣٨- انظر: الدرس اللغوي في النجف الأشرف، م. س، ص ١٩٢.

٣٩- انظر: م. ن، ص ١٨٣.

٤٠- هكذا قرأتهم، ج١، م. س، ص ٦٩.

٤١- أعراف النحو في الشعر العربي، م. س، ص ٥٧.

المصادر والمراجع

١- الأسعد: د. عبد الكريم محمد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة،

الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢- ـجمال الدين: د. مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، قم، دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٣- الحكيم: د. حسن، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن)، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٤- الخليفة: حسن، «تحرير العقل من نفسه.. قراءة في موقف العلَّامةالفضلي من جدل الأنماط، مجلة الكلمة، ملف خاص عن العلَّامةالفضلي، العدد ٥٥».

٥- الخليفة: حسن، شيء في النحو.. تاريخه وتطوّره، تقديم: د. عبد الهادي الفضلي، الأردن ـ إربد، ١٩٩٢م.

٦- السيد: د. عبد الرحمن، مدرسة البصرة النحوية.. نشأتها وتطورها، العراق، توزيع دار المعارف، ١٩٦٨م.

٧- الفضلي: د. عبد الهادي، أعراف النحو في الشعر العربي، جدّة، دار الوفاء،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨- الفضلي: د. عبد الهادي، الدرس اللغوي في النجف الأشرف بين القرنين الخامس والخامس عشر الهجريين، تقديم: السيد حسن الخليفة (عضو لجنة مؤلفات العلَّامةالفضلي)، بيروت، مركز الغدير، ط٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٩- الفضلي: د. عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي، تقديم: السيد حسن الخليفة (عضو لجنة مؤلفات العلَّامةالفضلي)، ط٢ ضمن (موسوعة العلَّامةالفضلي) ج ١٤، بيروت، دارة الغريين، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٠- الفضلي: د. عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، ج١، بيروت، مركز الغدير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١١- الفضلي: د. عبد الهادي، دراسات في الفعل، بيروت، دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٢- الفضلي: د. عبد الهادي، فهرست الكتب النحوية المطبوعة، الأردن ـ الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٣- الفضلي: د. عبد الهادي، مراكز الدراسات النحوية، الأردن ـ الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٤- الفضلي: د. عبد الهادي، هكذا قرأتُهم، إعداد وتقديم: حسن الخليفة، ج١، بيروت، دار المرتضى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٥- الفضلي: د. عبد الهادي، هكذا قرأتُهم، إعداد وتقديم: حسن الخليفة، ج٢، بيروت، دار المرتضى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦- المخزومي: د. مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، بيروت، دار الرائد العربي، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

البُلدانيَّة المُغايرة
قراءة في كتاب (دليل النجف الأَشرف)(*)
للعلَّامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي
(1354_1434هـ/1935_2013م)

السيد حسن كاظم الخليفة(**) / طالب بحث خارج

تشتغل الكتابة التاريخيّة على الزّمان، بينما تشتغل الكتابة الجغرافيّة على المكان، وحين يحضر المكان والزّمان في نصٍّ ما، تاريخي من حيث كونه يرصد مستوى من الأحداث، وجغرافيّ من حيث إنّه يرسم مسرح تلك الأحداث ـ فإنّه يرصد المكان في زمان، والزّمان في مكان، ويقرأ حركة الإنسان في الظرفين المكانيّ/الزمانيّ، وكأنّهما شيء واحد.

تلك هي الكتابة البلدانيَّة بالمعنى التراثي لهذا الاشتغال المعرفيّ الذي تجلَّى في شكل من أشكاله بكتب الرحَّالة مثل: ابن بطوطة (٧٠٣ـ ٧٧٩هـ) في رحلته (تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، وابن جبير(٥٤٠ـ٦١٤هـ) في رحلته (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار).

إذا كان الاشتغال البلدانيّ لدى الرحَّالة يأخذ في اعتباره تسليط الأضواء على (الغرائبيّ، العجائبيّ، الملفت، وغير المألوف) من أجل نوع من (الحكي) و(القصّ) في بلدان الناس، وناس البلدان؛ لأنّ ذلك ممَّا يدخل في طبيعة (أدب الرِّحلات) ـ فإنَّ المعجميين أمثال ياقوت الحموي (٥٧٤ـ ٦٢٦هـ) تشتغل بلدانياتهم على البلد المدروس من حيث الاسم والموقع والأهمية، وما يتصل بذلك كلّه من نصوص كالحديث الشريف والأدب واللغة، مع شيء مما يلتفت إليه الرحَّالة، قاصدين إبراز شخصيّة البلد عَبر رؤيته بين البلدان في المعجم، وهذا ما قام به الحموي في كتابه (معجم البلدان).

غير أنَّ البلدانيَّة لا تقف عند هذا الحدِّ، ذلك حين تحاول أن تستحدث ما يجاور(أدب الرّحلات) إلى (رحلات الأدب) في (السيّرة)، ولكنَّها سيرة للمكان/المدينة مثلا، ومثال ذلك التدوين الروائي/السيروي نجده في كتاب سيرة مدينة (عمّان في الأربعينيات) للروائي عبد الرّحمن منيف (١٩٣٣ـ ٢٠٠٤م)، ومثله في سيرة مدينة البصرة (بصرياثا) للروائي محمد خضير (١٩٤٤ـ). وإذا كانت بلدانيَّة منيف وخضير تنزع منازع النصّ الأدبيّ على نحو خاصّ ـ فإنّ ما يشتغل عليه نصّ شيخنا العلَّامة الفضلي (١٩٣٥ـ٢٠١٣م) في كتابه (دليل النجف

الأَشرف) هو ذلك النحو من البلدانيَّة التي تكاد تنفرد عما ذكر بما تنزع إليه من اختصاص.

فهو كتاب بلدانيٌّ، من حيث كون موضوعه مدينة عايشها الكاتب وهي (النجف الأَشرف)، وفي زمان محدَّد (ستينيات القرن العشرين) رصدها مكانًا وزمانًا وإنسانًا وثقافةً، هادفًا إلى تقديم ما يعرِّف قاصديها بها معرفة دالة، شاملة (مكانًا وزمانًا وإنسانًا وثقافةً)، فهو عملٌ معجميٌّ، رحلويٌّ (سياحيٌّ)، تاريخيّ، جغرافيّ، ثقافيّ، وديني...؛ كونه يبحث في مدينة تسبح في فضاءات القداسة، وترفرف فيها أجنحة العلم، فهي مدينة (باب مدينة العلم) الإمام علي بن أبي طالب(عليه السَّلام).

ممَّا يحضر في (دليل النجف الأَشرف) من موضوعات:

(أهمية النجف، جغرافيتها، تاريخها، ضريح الإمام علي(عليه السَّلام) و زيارته، جامعة النجف، تأسيسها، دراستها، كلية الفقه، مدرسة جامعة النجف الدينيَّة، المكتبات العامة، الجمعيات الثقافيّة، الصحف والمجلات، السلسلات الثقافيّة، المطابع، مقبرة وادي السّلام ـ أكبر مقبرة في العالم ـ دور العبادة، مساجد، مزارات، وما إلى ذلك من ساحات، شوارع، طرق مواصلات، متنزهات).

وما يتصل بعالم تلك المدينة المقدَّسة من علماء أعلام، وكتب وأَقلام، هي تمشي مع الكتاب مشي الظلّ لذي الظلّ، ملحقًا الكتاب بترجمة خاصة للشيخ الطوسيِّ(٣٨٥ـ٤٦٠هـ)، والسيِّد بحر العلوم(١١٥٥ـ١٢١٢هـ)، والشيخ جعفر الكبير(١١٥٦ـ ١٢٢٨هـ)، والذي يقرأ الكتاب يعرف سرّ تلك الخصوصية في هذا الإلحاق.

مع صور فوتوغرافيّة يختتم بها ملحق الكتاب، وهي تعكس الوعي المبكر لدى شيخنا العلَّامة الفضلي(رحمه الله) بأهمية (الصورة) التي بقيت تردف أبحاثه ودراساته ذات الجوانب الميدانيّة، كما هو الحال في دراساته الفقهيّة الرائدة حول مواقيت الحجّ (قرن المنازل، ذو الحليفة، الجحفة، يلملم)

تلك الأبحاث التي سجلت مرجعيّة لكثير من استدلالات فقهاء العصر، الذين رأوا في دراسات العلَّامة الفضلي ما يحل إشكالات، ويجيب عن تساؤلات ظلَّت حائرةً قبل دراساته الميدانيَّة الفقهيَّة الدَّالة.

وهو إنْ دلّ على شيء فإنَّما يدلّ على روحية العالم المحقِّق، والبحّاثة المدقِّق، الذي يلاحق كلّ من شأنه أنْ يُضيء الحقيقة.

إنَّ (دليل النجف الأَشرف) كتابٌ مفيدٌ، ممتعٌ، دالّ، هكذا سيراه القُرّاء...، ولكنَّني ـ حين قرأته ـ وفي ذاكرتي الكثير من طرائق البحث الاستدلاليّ لدى أستاذنا الفقيه العلَّامة الفضلي ـ في (فقه المواقيت) وهي ممَّا يحتاج إلى (دليل)، وقد تجلَّى واضحًا في تحقيقه لـ(منسك صاحب الجواهر) الشيخ محمّد حسن النجفيّ (ت١٢٦٦هـ) ـ فهمت أنَّ (هذا من ذاك)، وأنَّ (الاستدلال) إذا أراد أنْ يستكمل أدواته الاجتهادية فإنَّه ليس بمستغنٍ عن الدَّليل.

رحم الله أستاذنا الفقيه المجدِّد العلَّامة الموسوعي الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي الذي بنى رحلته العلميَّة على شطرين من (دليل الفقه) و(فقه الدليل)، وهما من الاجتهاد بيت القصيد.

---

*- صدر الكتاب في طبعته الأولى بالنجف الأَشرف عام ١٣٨٥هـ الموافق لعام ١٩٦٥م احتفاءً بالذكرى الأَلفية الأولى لولادة الشيخ الطوسي المولود لعام ٣٨٥هـ، ثم أعيدت طباعة الكتاب ونشره مرتين ببيروت، آخرهما ضمن المجلد(٣٤) من (مجموعة الدراسات التاريخيّة) في (موسوعة العلَّامة الشيخ الدكتور عبدالهادي الفضلي)، بإشراف (لجنة مؤلفات العلَّامة الفضلي)، بيروت، دارة الغريين، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

**- من أَبرز تلامذة العلَّامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، ومن المجازين منه في الرِّواية، ومن المختارين في لجنة مؤلفاته. مؤسِّس ورئيس منتدى كاظم الخليفة للقراءة والإبداع. وله العديد من الدراسات والمشاركات العلميّة والأدبيَّة والفكريَّة.

شذرات من مجالس العلَّامة الفضلي
(بين الشطح الفلسفي واجتهاد التراجيح)

السيد حسين الموسوي[١] / الإحساء

من يقرأ للعلَّامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي – خصوصاً إذا كان ممَّن له صلة بالدرس الشرعي، سيكتشف أنَّه قد انتقل من عالم ألفه إلى عالم آخر من الطرح على صعيدي المنهجيّة وتطبيقاتها.. ومن يحالفه الحظّ، فيكون من رواد مجالسه العامرة بالعطاء العلمي والشذرات النادرة، فإنَّه سيزداد انبهاراً بشخصيّة هذا العالم الذي نذر حياته خالصة للعلم والعطاء، فلا يقلّ حديثه الشفهي العفوي في مجالسه عن يراع قلمه السيَّال، وقد يظفر من يجالسه بجواهر ثمينة تُنثر عفو الخاطر، وهي نتيجة تجارب عميقة وراسخة، تنمُّ عن ثقل المسيرة العلميَّة التي يحفل بها العلَّامة الفضلي.و يطيب لي في هذه المقالة القصيرة أنْ أستعيد بعضاً ممَّا تزوّدْتُه من شذرات مجالسة الغنية بالعلم والمعرفة، فمن شذراته تقريره لمفهوم الاجتهاد من حيث التنظير، وتطبيق المفهوم على الاجتهاد السائد.

فالاجتهاد السائد في أيّامنا هذه – في الأعم الأغلب كما يرى العلَّامة الفضلي - هو أشبه ما يكون باجتهاد التراجيح عند العامة، فقد فرق فقهاؤهم بين المجتهد المطلق – وهو عادة ما يشكل منهجاً فقهياً، ويكون إمام مذهب عندهم – وبين مجتهد التراجيح، فعدّوا الأوّل مثالاً حقيقياً للفقيه المزاول للعملية الاجتهاديّة، أمَّا مجتهد التراجيح فهو يبذل وسعه في الترجيح بين أقوال الفقهاء حول مسألة قد أشبعت بحثاً، وتكاثرت حولها الأقوال ؛ ولذلك يرى العلَّامة الفضلي أن المجتهد الحقيقي هو من يبذل جهده في استنباط أحكام لقضايا جديدة غير مبحوثة... كان هذا من تصريحاته الشفهية في إحدى مجالسه، ونقله لمصطلح (مجتهد التراجيح) هو لمجرد التشبيه، وتوضيح الفكرة، وإنّ كان هناك من تضيق قلوبهم ذرعاً بضرب الأمثال؛ لكونها من مصدر مخالف، والأمثال تضرب، ولا تقاس على كلِّ حال...، كما أنَّه قد عَبَرَ إلى ما يقرب من هذا كتابياً حين فرَّق بين الفقه الاستدلالي

والفقه الاستنباطي، ورأى أنَّ منابر البحث الخارج وكتب البحث الفقهي قد بنيت على الاستدلال لا الاستنباط، فالفقيه يطرح مسألة يستلّها من رسالة عملية لفقيه سابق - والمسألة نتيجة عملية اجتهادية - فيحاول أنْ يأتي بدليل المسألة ومستندها، ويناقشه، وقد يتبناه، أو يهرع إلى أدلة فقهاء آخرين حول المسألة، فيرجح رأياً أو دليلاً منها على بقية الآراء والأدلة، وهذه الطريقة تؤدي إلى وقوع البحث الفقهي وانحباسه في حيز التكرار الاجتراري ممَّا يصيبه بالنمطية غير الإبداعية ؛ ولذلك فإنَّ العلَّامة الفضلي قد دعا الباحث الفقهي إلى تحديد موضوع البحث أولاً، ثمَّ الذهاب به إلى الكتاب ثمَّ السنة، لعرضه عليهما وصولاً بالعملية الاجتهاديَّة إلى استنباط الحكم منهما،وبهذه الطريقة تتحقَّق العملية الاستنباطيّة، فيسير البحث في مساره الصحيح منتجاً فقها اجتهادياً خالصاً في جدَّته أو غير متأثر بأقوال اجتهادية سابقة.....

وكم من فقيه قد تنازل عن علمية نتائجه خوفاً من خرق الإجماع الذي يشكِّل الممارسات العملية السائدة، والخرق صعب إذا اقترب من الممارسات العمليّة التي اعتاد عليها الناس وألفوها.

إنَّ البحث الاستنباطي يعطي الفقيه حرية التحرك خارج الأنماط السائدة المنطلقة من النتائج الفقهية (الرسائل العملية) ومن الكتب الاستدلالية التي تدور في فلكها وتتأثر بها في تعميقها النمطي وفي التنويعات الشكلانية عليها.

بل إنَّ الأثر السلبي للطريقة الاستدلاليّة قد يصل إلى اجترار معنى معين لمفهوم موضوعي فيصيب اللاحقين بخدر لا يجعلهم يلتفتون إلى ما وقع فيه السابقون، حتى على المستوى الموضوعي بسبب الهيبة والقداسة في بعض الأحيان التي يتمتع بها من سبق عادةً على من لحق من الناحية العملية التي تهيمن على الأصل النظري الذي يصنف منهج الإمامية أصولياً بأنَّه منهج

تخطئة لا منهج تصويب..

والمثال على المسألة، فإنَّ العلَّامة الفضلي كان يفصح لمن يسأله عن رأيه في حكم التظليل للحجاج والمعتمرين ليلاً، فيجيز ركوب السيارات المسقفة ليلاً راجعاً بدليله إلى واقع موضوعي لغوي، فيبين أنَّ التظليل غير متحقِّق في المسألة ؛ ذلك لأنَّ التظليل لا يكون إلَّا في النهار وقاية من الشمس، أمَّا الركوب في وسائط نقل مسقفة ليلاً فهو (احتماء) من الحرِّ أو البرد،و لا يصدق عليه لفظ (تظليل).

إنَّ منهج العلَّامة الفضلي الاستنباطي هو الذي أوصله إلى نتيجة صحيحة في المسألة السابقة من الناحية الموضوعية، فلم يقع تحت تأثير دائرتي الإجماع والتسالم والقضايا الشائكة التي قد يصل بعضها إلى الشطح التخيلي البعيد كلُّ البعد عن الواقع.

فمن شذرات مجالسه الشفهية التي شهدتها، استهجانه لفتوى تمنع من ذكر لفظة «النذر» في صيغة النذر لمن يريد أن يحرم بالنذر للحجّ أو العمرة، فلا يصحّ أنْ تقول بحسب الفتوى المذكورة (لله عليَّ نذر)، ويجب أن تقول: (للّه عليَّ) – ولا أدري ما عليك حينئذٍ..! - بدعوى أن ذكر لفظة النذر في صيغة النذر يستلزم (الدور) وهو ممتنع عقلاً..! فيرى العلَّامة الفضلي أنَّ (الدور) من المصطلحات الفلسفية التي تطبق ضمن مجالاتها الفلسفية في مباحث النشأة والوجود، وما إلى ذلك، ولا شأن لها في القضايا اللغويَّة والعرفيّة.

وممَّا يشابه الشطح السابق، ذهاب بعضهم إلى جواز أن يشترك الشخصان والأكثر في شيء، ولكن لا يجوز بعد ذلك فضّ الشركة ؛ لأنَّ تقسيم المشترك سيؤدي إلى ظلم أحد الشركاء بحجّة أنَّ المادة المشترك فيها تحتوي على جزء لا يمكن أنْ يتجزأ، وهو ما يسمّى في المصطلح الفلسفي بـ (الجوهر الفرد)، ولذلك لا يجوز فضّ الشركة..!

حقاً إنَّ العلَّامة الفضلي يستحق لقب (شيخ المنهجية) بلا

منازع، فالعلوم كلُّ العلوم بما فيها الفقه والأصول لا تزدهر ولا تأخذ مسارها الصحيح، ولا تنتج نتاجا صالحاً ما لم تكن لها شِرعة واضحة، ومنهاج سليم منبثقان من طبيعتها الصرفة، وإلَّا فإنَّ العلم الذي لا يسير وفق سياقه سينتهي به الأمر إلى النماء المسائلي الجدلي غير المنتج، وهو نماء أشبه ما يكون بالخلية المسرطنة المصابة بالجنون التي تقوم بالتهام الخلايا الصالحة، فتنتج ورماً سرطانياً مميتاً.

وما دام الحديث قد جعلنا نتطرق إلى بعض مسائل الحجّ، فأحبّ أنْ أختم بالإشارة مشافهة عن العلَّامة الفضلي، وقراءة لما كتب أنَّه بعد ما شرع في تحقيق منسك صاحب الجواهر، استدعاه الأمر - وفق منهجه الذي لا يقنع بأن يظل حبيس الرسائل العملية والكتب الاستدلالية - إلى أنْ يبحث ميدانياً في معالم الحجّ والأماكن التي لها ارتباط بالأحكام الشرعيّة الخاصة بالحجاج والمعتمرين، فوجد أنْ كتب المناسك، وما في إطارها تنقل عن بعضها نقلاً استنساخياً دون فحص أسماء أماكن لا وجود لها في معالم الحجّ..!

ذلك ما دعاه إلى النزول في الميدان، والقيام برحلات استكشافية لاستجلاء حقائق موضوعيّة لا غنى عن استجلائها في تحديد الوظيفة الشرعيَّة الصحيحة للمكلفين.

والعلَّامة الفضلي حين يمسح المكان جغرافياً، لا يغيب عنه البعد التاريخي في دراسة المكان، وأثر العوامل الطبيعية من قبيل الزلازل والسيول والعوامل القسرية الأخرى، فهو حين ينفي وجود المكان ينفيه انطلاقاً من بحث متكامل على صعيدي التاريخ والجغرافيا.

إنَّ إدخال العمل الميداني بغية تشخيص الموضوع في البحث الفقهي لهو أمر ضروري من الناحية المنهجية خصوصاً إذا كانت طبيعة البحث تتطلَّب ذلك كما في الأمر المشار إليه سابقاً حول معالم الحجّ. وما هذا الأمر إلَّا شاهد من شواهد

الباحث (الاستنباطي) الذي ينماز به عن الباحث (الاستدلالي) من الناحية العلميَّة التي أشار إليها العلَّامة الفضلي في كتاباته واستفادها طلابه ومريدوه مشافهة من مجالسه ولقاءاته.

ولي أنْ أتصوّر بأنَّ من يقرأ هذه السطور ممَّن استعذب الطريقة الكلاميّة الجدليّة سيرد على مسألة التشكيك في أماكن لا وجود لها بطريقة الرّد بسلاح (الدور) و(الجوهر الفرد) – كما مر في المسألتين السابقتين -، مع كون المسألة لا تخرج في نفيها أو إثباتها عن البحث الميداني الجغرافي المستند إلى عمقه التاريخي قطعاً..!

إنَّ قيمة منجز العلَّامة الفضلي تكمن في إبداعه المنهجي الذي سيأخذ طريقه الحتمي في التأثير وسيرسخ ويترك بصماته على ما يستجد من المنجز القرائي للتشريع، وسيتضاءل وهج (الجوهر الفرد) باحثاً عن (دور) له في عالَم لا (دور) له فيه، إلَّا إذا رضي أنْ يستريح به المطاف في (التكايا) التي تنبثق منها الشطحات.

الهوامش:

١- باحث إسلامي عراقي من البصرة، جمع بين الدراستين الأكاديمية والحوزوية، ومن رواد مجلس العلَّامة الفضلي في الدمام.

الدكتور عبد الهادي الفضليّ مُفهرسًا

أ.د مكي نومان مظلوم

تعددت معارف الدكتور عبد الهادي الفضلي؛ لأنه ألزم نفسه بدرسٍ شامل لما يحتاج إليه من العلوم اللغويَّة والأدبيَّة والشرعيّة وغيرها، وعزَّز ذلك بالجمع بين الدراسة الدِّينية والأكاديمية[1]، وقد كان المبرَّز فيهما درسًا و تأليفًا، دفاعًا عن دينه وعقيدته، ولغة القرآن الكريم.

وممّا عهده في ثقافته (فنّ الفهرسة)، فقد اطَّلع على كتب الفهارس في التراث العربي، وأفاد منها أيَّما فائدة، وأشهرها كتاب (الفهرست) لابن النديم (ت ٤٣٨ هـ على خلاف)، الذي اعتمد على عددٍ من الفهارس السابقة على كتابه، منها فهرست كبير يحتوي على ما أُلِّف في الصنعة وغيرها، وصغيرٌ اختصّ بما أُلِّف في الصنعة فقط، وكلاهما لجابر بن حيَّان (ت ٢٠٠ هـ) ، ورسالة البيروني (ت٤٤٠هـ)في فهرست كتب أبي بكر الرّازي (ت ٣١٣ هـ). وممَّا اطَّلع عليه وأفاد منه (فهرست أسماء مصنِّفي الشيعة المعروف برجال النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، والفهرست لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي. (ت ٤٦٠هـ)، و فهرست ما رواه ابن خير الإشبيليّ (ت ٥٧٥هـ) عن شيوخه، وغير ذلك من الفهارس القديمة، والحديثة الواردة في مؤلّفاته.

إنَّ هذه المصنفات التراثية التي اتخذت من (الفهرست) عنوانًا، هي ما يعرف عند المحدثين بالمؤلّفات الببليوجرافية، فعدُّوا ((كتاب ابن النديم: الفهرست... من أقدم الوثائق والشواهد على أن الببليوجرافيا كانت موجودة في عالمنا الإسلامي))[2]. وقد تأثر الفضلي بالتفكير (الببليوجرافي)، استنادًا إلى تلك المعرفة الموسوعية والشاملة، فنجد صدى ذلك في عدد من مؤلَّفاته. ويمكن تقسيم الاتجاه الفهرسي (الببليوجرافي) في تلك المؤلّفات على قسمين؛ الأول: الفهرسة الضمنية. والثاني: الفهرسة المستقلّة، وذلك على النحو الآتي:

الأول: الفهرسة الضمنية:

لم تكن هذه الفهرسة غاية في ذاتها، بل إنّ صاحبها يضمّنها في مؤلّفه لخدمة موضوعاته، ولذلك فإنَّ الشيخ

الفضلي ضمَّن عددًا من مؤلَّفاته فهارس جزئية حوتها تلك المؤلّفات، وهي تعزِّز ما يذكره المؤلِّف، و تقدِّم فائدة للقارئ فتحيّطه علمًا ومعرفةً بالكتب وأصحابها.

إنَّ رفد موضوعات الكتاب المؤلَّف بتلك الفهارس الجزئية، يعود إلى معرفته الشاملة، وقراءته المنوَّعة، فضلًا عمَّا أفاده من شيوخه، منهم الدكتور مصطفى جواد، والدكتور إبراهيم السامرائي[٣]، ممَّا منحه ثقافةً موسوعيّةً تمثلت بـ ((الجمع بين العلوم الحوزوية المتعارفة، والعلوم الإنسانية دراسةً واطلاعًا وقراءةً، أفاد من علوم عصره بقسط وآفر، وتلاقحت في ذهنيته الوقّادة ثقافات متعدِّدة، قلَّما اجتمعت لأقرانه))[٤].

وقد صرَّح الشيخ الفضلي بذلك في مقدمة كتابه (أصول تحقيق التراث) قائلاً: ((عشتُ غيرَ قليل متعاملًا مع التراث الثقافي العربي، تتبعتُ ما كتب فيه، وعنه بشيء كبير من الاهتمام، وأخرجتُ غيرَ مخطوط تحقيقًا وتعليقًا، ولاحظت على ما طبع منه معرِّفًا وناقدًا))[٥].

ويمكن عدَّ هذا الكتاب مثالًا على هذا القسم، فقد ضمّنَه قوائمَ مختلفة؛ منها ما نُشِر من التراث العربي نشرًا بدائيًا في القرن الثاني عشر الميلادي (١٠) كتب. وما ألّف في تحقيق النصوص (٣٣) كتابًا، وأسماء فهارس المطبوعات العربية (٧٣) فهرسًا، وأسماء بعض المكتبات المقتنية للمخطوطات العربية (٢٤٤) مكتبة، وأسماء بعض فهارس المؤلِّفين والكتب (٢٦) فهرسًا، وأسماء بعض كتب التراجم والطبقات (١٦٩) فهرسًا، وغيرها ممّا نثره في تضاعيف كتابه. وقد عزّزت أسماء تلك الكتب والفهارس ومؤلفيها ما ذكره المؤلِّف، وأفادت القارئ في معرفته بما ذكره.

وأقام الدكتور الفضلي كتابه الآخر (الدرس اللغوي في النجف الأشرف) على هذا الاتجاه في التأليف، فهو ((عبارة عن فهرست بأسماء المؤلّفين في الدرس اللغوي، وعناوين كتبهم، والتعريف بها))[٦]. وَ ((يرصد

المؤلِّف في هذا الكتاب حركة التأليف في علوم اللغة العربية وآدابها في النجف الأشرف، بدءًا من مؤسس الحوزة العلمية في النجف الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، وانتهاءًا بعصرنا الحاضر، حيث أحصى المؤلّف أكثر من (٢٠٠)، مؤلِّف في مجال الدرس اللغوي))[٧] استوعب هذا الإحصاءَ الفصلُ الأخيرُ منه، ورتَّب تلك الأسماء مشفوعةً بمصنفاتها على وفق الترتيب الألفبائي، وذلك لـ ((تيسير الرجوع المعرفة التراجم)) معتمدًا على((ما توفر لديه من مصادر ومراجع))[٨]. ومما يسجَّل نقدًا على المؤلّف ذكره الأستاذ هاشم طه شلاش (ت ٢٠١٠)، وكتابه: أوزان الفعل ومعانيها، مع اللغويين في النجف الأشرف[٩]، والأستاذ المذكور وُلِدَ في مدينة الرمادي بمحافظة الأنبار، وحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه من جامعة بغداد[١٠]، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، و((عَمِل مدرسا في التعليم الثانوي في مدينتي الرمادي وبغداد، قبل انتقاله إلى جامعة بغداد أستاذًا للدراسات اللغوية))[١١].

ولا يسوّغ عدَّه من لغويي النجف طباعته كتابه (أوزان الفعل) فيها بمطبعة الآداب سنة ١٩٧١، فهو في الأصل رسالته للماجستير من جامعة بغداد سنة ١٩٦٧، وهذه الجامعة نفسها هي التي ساعدت على نشره.

القسم الثاني: الفهرسة المستقلّة

تظهر عناية الفضلي ((بعمل الإحصائيات، ومراعاة التصنيف العلمي أيضا في دراسة الظواهر، ويمكن أن يكون كتابه (فهرست الكتب النحوية المطبوعة) مثالًا على ذلك))[١٢]، أي الفهرسة المستقلَّة، وذكر في مقدمته حدودَ هذه الفهرسة الزمنية، وعدَّة ما وصلت إليه معرفته، قائلا: ((استوعب هذا المسح البيبليوجرافي المطبوعَ النحويَّ زمنيًّا من بدء الطباعة بطبع الكتاب النحوي، حتى نهاية العام المنصرم ١٩٨٤ الميلادي))[١٣]. وقوله: ((يحتوي الكتاب (١٢٦٥) عنوانًا لكتاب نحو عربيّ مطبوع))[١٤].

أمَّا منهجه في الترتيب فعبَّر عنه بقوله:

((رتَّبتُ عنوان الكتاب ترتيبًا ألفبائيا، مراعيًا الحرفين الأول والثاني))[١٥].

ولم يكتفِ بفهرسة عنوانات الكتب النحوية، وبيانات نشرها)، بل استخلص أموراً مهمَّة في منهج التأليف النّحويّ، شكلًا ومضمونًا، ففي الشكل قال: ((نستطيع أن نتبين من خلال النظر في الأشكال التأليفية للكتاب النحوي المذكور في هذا الفهرست أنَّ الكتاب النحويّ جاء على أشكال مختلفة، منها:

١- الكتاب النحوي الاستدلالي: كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ).

٢- المتون النحويّة: الجمل للزجاجي (ت٣٣٧هـ).

٣- شروح المتون: شرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٣٤ هـ)[١٦].

٤- حواشي الشروح: حاشية الخضري (ت ١٢٨٧هـ) على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.

ثم قال: ((أمَّا المضمون، أو المادة النحوية التي تأطّرت بالأشكال النحويةالمتقدمة الذكر، فمنها:

١- القواعد: المتون النحوية من أحفل الكتب النحوية بمادة القواعد.

٢- الشواهد: شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)

٣ - الخلاف: الإنصاف، لأبي البركات الأنباريّ(ت ٥٧٧هـ)

٤- التاريخ: بغية الوعاة، للسيوطي (ت ٩١١ هـ)[١٥].

وممَّا يُسجّل نقدًا على ما ذكره الدكتور الفضلي الوهمُ في ذكر كتب ليست نحويّة، إذ إن عنواناتها تدلُّ على أنَّها مصنفات نحويَّة، وهو من باب خداع العنوان، والاعتماد عليه فقط، من دون الاطلاع على محتوى الكتاب ومضمونه، وممّا ذكره:

١- دفاعًا عن الجملة الاعتراضيّة، لحافظ عَلْيان، بيروت، ١٩٧٤[١٦].

يوحي هذا العنوان بأنَّ الدِّراسة نحويَّة؛ لأنَّ المذكور قد نشر تحت هذا العنوان تسعَ قصائدَ في مجلة الأقلام، العدد الأوّل، السّنة العاشرة، ١٩٧٤م: ص٥٤ – ٦٣، علمًا أنَّ نشرة بيروت كُتِبَ تحت عنوانها كلمة (شعر) لتزيل اللبس الذي يوحي به العنوان.

أ- أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش.

ب- معاني الأبنية في العربيّة: فاضل صالح السامرائي[١٧].

إنَّ موضوع هذين الكتابين هو الصرف لا النحو، وهو ممَّا يخرجهما عن منهج فهرسة المؤلِّف الخاص بالكتاب النحوي، أمَّا ذكره كتبًا جامعةً بين النحو والصرف وغيرهما فلا إشكل فيه، لحضور النحو فيها بنسبة عالية، ولكون أغلب الكتب النحويَّة القديمة تتضمّن موضوعات علم الصرف.

وممَّا ذكره الفضلي من الكتب الجامعة بين النحو والصرف.

أ- تمرين الطلاب في التصريف والإعراب، لرشيد الشرتوني (ت ١٣٢٤ هـ).

ب - التيسير في النحو والصرف، فتحية توفيق صلاح[١٨].

٢- المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين: سعيد بن محمد النيسابوري[١٩].

ذكره الفضليّ هكذا من دون إتمام بيانات نشره، ممَّا يوحي أنه لم يطلع عليه، وتمام ما ينبغي بيانه أن أبا رشيد النيسابوريّ المعتزليّ تُوفِيَ حوالى سنة ٤٠٠ هـ،وحققته د. معن زيادة، ود،رضوان السيِّد . معهد الإنماء العربي، طرابلس الغرب، ١٩٧٩ (١٤٦ ص). وظنَّ الدكتور الفضليّ أنَّه من كتب مسائل الخلاف النحوي، فعنوانه على غرار عنوانات هذه الكتب، وأشهرها كتاب أبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. وحقيقته ليست كذلك، فمؤلّفه النيسابوريّ المعتزليّ تعقّب المسائل الخلافية بين مدرستي المعتزلة في البصرة وبغداد في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

ولذلك ندعو إلى الاطلاع على محتويات الكتب، دون الاكتفاء بمعرفة عنواناتها؛ لأنّ بعضها قد يخدع ذهن السامع، فيصرفه إلى غير موضوعه الحقيقي.

الهوامش:

١- ينظر: الدكتور عبد الهادي الفضلي

بين الضوء والظلّ:٢٠.

٢- البيبلوجرافيا علم وفنّ (مقال)، مجلة الفيصل: ١٢٥.

٣- ينظر: الدكتور عبد الهادي الفضلي بين الضوء والظل: ٥٨، والدكتور الفضلي يفتح أوراقه للحوار: (٢٣)، وقراءات في فكر العلامة الفضلي: ٢٣٤.

٤- قراءات في فكر العلّامة الفضليّ: ١٧١، وينظر: جود اليراع: ١٨-١٩

٥- أصول تحقيق التراث: ٠٥

٦- الدكتور عبد الهادي الفضلي بين الضوء والظل:٢٢٤٨، ح١

٧- قراءات في فكر العلامة الفضلي: ٦١

٨- الدروس اللغوي في النجف الأشرف: ١١٩.

٩- المصدر نفسه: ١١٩.

١٠- ينظر: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين: ٢٢٠/١ ٠

١١- الإعلام بسنوات وفيات المصنفين الأعلام (المؤلّف في سطور) - آخر الكتاب.

١٢- الدكتور عبد الهادي الفضلي بين الضوء والظل: ٠٢٥٦

١٣- فهرست الكتب النحوية المطبوعة: ٤

١٤- المصدر نفسه: ٥-٨ .

١٥- المصدر نفسه: ١٢-١٣.

١٦- المصدر نفسه ١٠٠.

١٧- المصدر نفسه من ٤٧ ، ١٨٩.

١٨- المصدر نفسه: ٦٦ ، ٧٠ .

١٩- المصدر نفسه: ١٨٥.

٢٠- المصدر نفسه: ٦٦ - ٧٠.

٢١- المصدر نفسه: ١٨٥.

المصادر والمراجع:

١- أصول تحقيق التراث: العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي (ت ٢٠١٣م) ط٢، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر - بيروت، ١٤١٦هـ

٢- الإعلام بسنوات وفيات المصنفين الأعلام: د. هاشم طه شلاش. (ت٢٠١٠م)، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، بغداد،القاهرة، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

٣- البيبليوجرافيا علم وفن (مقال): عبد العزيز محمد النهاري. مجلة الفيصل، العدد (٣٧) السنة (٤) ١٤٠٠هـ ،

١٩٨٠م.

٤- جود اليراع، فهرست تراث العلّامة الفضلي: إعداد جواد عبد الهادي الفضلي،ط٢، دارة الغريين للدراسات والنشر - بيروت، و أطياف للنشر والتوزيع - القطيف، ١٤٣٨ هـ(٢٠١٧م).

٥- الدرس اللغوي في النجف الأشرف بين القرنين الخامس والخامس عشر الهجريين: العلَّامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي ط ٢، مركز الغدير للدراسات والنشر و التوزيع - بيروت، ١٤٣٣هـ٢٠١٢ م.

٦- الدكتور عبد الهادي الفضلي بين الضوء والظلِّ: إعداد عبد الله بن علي الرستم، ط ا، أطياف للنشر - القطيف. دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥.

٧- الدكتور الفضلي يفتح أوراقه للحوار: إعداد حسين منصور الشيخ، ط١،مداد للثقافة والإعلام، جد حفص، مملكة البحرين،١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م

٨- فهرست الكتب النحوية المطبوعة: د. عبد الهادي الفضلي، ط ا، مكتبة المنار- الارقاء - الأردن / ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦.

٩- قراءات في فكر العلّامة الفضليّ، إعداد فؤاد عبد الهادي الفضلي، ط١، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م.

١٠- موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين (الجزء الأول): حميد المطبعي،(ت ٢٠١٨م) ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٥.

عبد الهادي الفضلي الطائي
(1352هـ - 1434هـ ، 1935م - 2013م).
ثبت دراساته المستقلة
وبحوث المجلات والنصوص المحققة

الأستاذ حسن عريبي محمد علي الخالدي / مشرف تربويّ متقاعد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا الأكرم محمد، وعلى آله النجب الأطهار، وصحبه المنتجبين الأبرار.

أقول: من صادق الوفاء وخالص البرِّ وراسخ المروءة أنْ نحتفي بالأعلام الأفذاذ البُناة، وهم أحياء، وبعد رحيلهم، وفي عداد هؤلاء شيخنا العلامة الفضلي(طيَّب الله ثراه)، وقد شهدت له سيرته المشرِّفة وبحوثه ومصفاته على علوّ قدرٍ، وسمو مكانةٍ، وبعد صيتٍ وطماحٍ وهمّةٍ ووافر اشتغال، وصبرٍ على مطالب الدرس والبحث.

سيظلُّ شيخنا الفضلي وأمثاله منارة ضياء، وسبيل هدي وسدادٍ وأسوة. رحم الله تعالى شيخنا الفضلي، وعوَّضنا بمن يسدّ سدّه، و يقوم مقامه.

وقد أغنانا عن بسط سيرته العطرة ولده النجيب البار الأستاذ جواد عبد الهادي، فيما وطأ به لكتابه الموسوم: (جود اليراع فهرست تراث العلامة الفضلي)، ومن الإنصاف وأخلاق العلم أن نصرِّح إنَّا عيال عليه في مبحثنا هذا. آمل أنْ أوفَّق لما سعيت إليه في الإحاطة بنواحي اشتغاله (طاب ثراه)، و الله تعالى الموفق ومنه استمد العون والسّداد.

الرموز والمختصرات:

ج = جزء

س = سنة

ص= صفحة

ط= طبعة

ع = عدد

مج = مجلة

مخ = مخطوطة

الدراسات المستقلة:

١- ألفية ابن مالك وشروحها (مخ)، ١٨ ص.

٢- بحوث فقهية معاصرة، دار الغدير للدراسات، ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠١٤م .

٣- بين العاميتين: الحجازية والعراقية، نشرة أخبار جامعة الملك عبد العزيز جدّة، ط١، ١٣٩٣هـ،٣٠ / ١١،ص ١٢.

٤- تاريخ الأدب العربي - (مخ).

٥- تاريخ التشريع الإسلامي، الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية، لندن، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط١، ص٥٢٧.

٦- التذكرة في اللغة العربية وآدابها، دار الرافدين، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص١٤٥.

٧- التربية الدينية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ط١، ص١٩٥.

٨- التربية وعلم النفس وطرق التدريس (مخ).

٩- أثر القرآن في شعر ابن عثيمين (مخ) ص١٠.

١٠- إخوان الصفا بين الضفادي والفضلي (مخ) (من النجف الأقدس إلى البصرة، الفيحاء، ص٨٣.

١١- أسماء الأفعال والأصوات دراسة ونقد (مخ)، رسالة ماجستير قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٧٠م، ص٣٨٠.

١٢- أصالة الاجتهاد عند الشهيد الصدر: قراءة في شواهدها الشاهدة، ط،، منشورات المركز الإسلامي الثقافي، دارة الغريين للدراسات والنشر، بيروت ط١، ٢٠١٦م.

١٣- أصول البحث، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص٢٨٨.

١٤- أصول تحقيق التراث،، مكتبة العلم، جدة، ط١، ١٩٨٢م،ص٢٦٠.

١٥- أصول الحديث، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، ط١٤١٤،١هـ - ١٩٩٤م، ص٣٠٩.

١٦- أصول علم الرجال، الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية، لندن، ط١٤١٤،١هـ-١٩٩٤م، ص٣١٩.

١٧- التقليد والاجتهاد، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٢٨١.

١٨- تلخيص البلاغة - ط١، بيروت، دار الكتاب الإسلامي ١٤٠٨ - ١٩٨٨،، ص١٢٦.

١٩- تلخيص العروض، دار الكتاب العربي، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٨م، ١٢٦.

٢٠- الخطابة العربيّة: تاريخ وتعريف،

ص٠٢٠

٢١- خلاصة الحكمة الإلهية، مركز الغدير، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٢٠٣.

٢٢- خلاصة علم الكلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١،١٤٠٨ هـ،ص٣٧٣.

٢٣- خلاصة المنطق، طبع مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط ا، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص١٦٠.

٢٤- خمسون لغزا و لغز - (مخ) ٢٠ ص.

٢٥- دراسات في الإعراب، تهامة للنشر، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ ص ١٧٨.

٢٦- دراسات في الفعل، دار القلم، بيروت، ١٤٠٢ ط١، ١٩٨٢م، ص٨٠.

٢٧- الدرس اللغوي في النجف الأشرف، شركة المصطفى، المنامة، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص١٤٤.

٢٨- دروس في أصول فقه الإمامية، مؤسسةأم القرى للتحقيق والنشر، قم ط١ ١٤٢٠ هـ، ج١ - ٢،ص ٤١٢ -٥٨١.

٢٩- دروس في فقه الإماميّة، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم، ط١ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م، ج٥، ص٣٠٥، ٣٢١، ٣٩١، ٤١٥، ٥١٧.وطُبع طبعة ثانية، مركز الغدير، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

٣٠- دليل النجف الأشرف في ستينيات القرن العشرين، منشورات مكتبة التربية، النجف الأشرف، ط٢،، ١٣٨٥هـ، ص١٥٦.

٣١- الدولة الإسلامية، دار الزهراء، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م، ص ١١٢.

٣٢- رأي في دلالة الحرف، ص١٥.

٣٣- شرح ألفية ابن مالك - (مخ).

٣٤- عشرة أبيات وبيت مشكلة الإعراب (مخ)، ص١٨.

٣٥- علاقة اللفظ بالمعنى: دراسة أصولية لغوية. أصالة الاجتهاد، المركز الإسلامي الثقافي، دارة المحربين للدراسات والنشر، بيروت،ط٢ ص١٨.

٣٦- علم الاجتماع - (مخ).

٣٧- علم البلاغة العربية: نشأته وتطوره،، طبع مطبعة الآداب،، النجف الأشرف، ط ١١٩٦٠هـ - ١٩٦٥م، ص٢٤.

٣٨- علم النفس الاجتماعي، كلية الفقه، النجف الأشرف، ط١ ١٩٥٩ هـ - ١٩٦١م، ص٢٥٠.

٣٩- علم نفس اللغة (مخ)، تقريرات، ١٩٥٩ هـ-١٩٦٠م.

٤٠- عواطف ولاء - ديوان العلامة الفضلي (مخ).

٤١- فقه اللغة - (مخ)، تقريرات، ص٤٥.

٤٢- فهرست الكتب النحوية المطبوعة، منشورات مكتبة المنار ط١، الزرقاء، الأردن،١٩٨٦ هـ، ص٢٢٧.

٤٣- في انتظار الإمام، ط١، بغداد، دار التربية، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ص١٦٠.

٤٤- القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، دار المجمع العلمي، جدّة، ط ١،، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م.

٤٥- قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحويّة، أطروحة دكتوراه آداب في اللغة العربية، إشراف د، أمين عليّ السيّد، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٦٦٩، (مخ).

٤٦- قضايا وآراء في العقيدة واللغة والأدب،، دار الزهراء (عليها السّلام) بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٤٣١.وطُبع طبعة ثالثة، دار القلم، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٧- الكلمة، (مخ) ص٤٠.

٤٨- اللامات، دراسة نحويّة شاملة في ضوء القراءات القرآنية، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ص١٢٥.

٤٩- لمحات ذكريات عن الأدب النجفي، (مخ)، ص١٨.

٥٠- مبادئ أصول الفقه، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ١٤٠.

٥١- مبادئ علم الفقه، مطبعة الآداب، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م،، ج١-٣،ص٦١٣، ٣٠٥، ٥٠٧.

٥٢- مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٩٨٧م، ص٣٠.

٥٣- مختصر الصرف مطبعة الآداب، النجف الأشرف،ط١، ١٩٧٢م، ص١٤٢،، طُبع بعنوان (موجز التصريف) موجز

التصريف)، طبع غير مرة.
٥٤- مختصر النحو، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص٢٧٠.
٥٥- مذكرة عالم المنطق، الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية، لندن، ط١ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص١٨٤.
٥٦- مذهب الإمامية: بحث في النشأة وأصول العقيدة والتشريع، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ط١، ص ١١٠.
٥٧- مراكز الدراسات النحوية، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط١، ١٩٨٦م، ص ٩٦.
٥٨- معاملات البنوك التجارية، مركز الفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص٣٠٧.
٥٩- المقياس النحوي بين القرآن وكلام العرب، (مخ).
٦٠- الموجز في علم التجويد،، مركز الغدير، بيروت،ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٦١- نحو أدب إسلامي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٣٩١هـ، ص٥١.
٦٢- النحو العام والنحو الخاص(مدرسة البصرة النحوية)، تقريرات، ١٩٦٦-١٩٦٧(مخ).
٦٣- نظرة في الألفاظ الإسلامية، مجلة النور - مؤسسة الإمام الخوئي (قدس الله سرّه)، لندن، ص١٢.
٦٤- نظرية العامل، (مخ)، تقريرات، ١٩٦٦ م - ١٩٦٧م، ص٢٦.
٦٥- هكذا قرأتهم، دار المرتضى، بيروت، ط١،١٤٢٤هـ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣م، ج١- ٢، ص٣٣٦، ٣٢٢.
٦٦- واقعة كربلاء في الشعر العربي، ص٦٣.
٦٧- الوسيط في علم النحو العربي، (مخ)، ص٢٧٦.
٦٨- الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، دار الانتشار العربي،بيروت، ٢٠٠١م، ص١٦٤.

(بحوث المجلات والصحف والنشرات)

٦٩- الاجتهاد: دراسة فقهية الاجتهاد الشرعي، المنهاج، بيروت، ع١٨، س٥، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ع١٩، س٥، ١٤٢١هـ-

٢٠٠٠م، ص٨٩.
٧٠- الأساليب الإنشائية الشرعية موقعها ووظيفتها، النجف،ع١، س١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٧١- الأسس الإسلامية: عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من أصول الدستور الإسلامي، المنهاج، بيروت، ع ١٧، س ٥١٠٤١هـ - ٢٠٠٠م، ص٣٠.
٧٢- الأسماء الثنائية في اللغة العربية اللسان العربي، الرباط، ع٦، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
٧٣- إنشاء العقد لكتابة الكلمة، الكلمة، ع٤١، س١٩، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص١٤.
٧٤- البعثة في نهج البلاغة، رسالة الإسلام، بغداد، ع٩ - ١٠، س٢، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، ص١٩.
٧٥- بيع التقسيط - المنهاج، بيروت، ع ١٦، س٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص١٤.
٧٦- بيع العربون، المنهاج، بيروت، ع ١٥، س، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص١٠.
٧٧- التبليغ الإسلامي، المنهاج، بيروت، ع ٢٢، س٦، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٦م، ص٣٠.
٧٨- تجربتي مع التعليم الحوزوي، مجلة الجامعة الإسلامية، لندن، ع١، ١٣١٤هـ- ١٩٩٤م.
٧٩- التضحية والفداء - مجلة الحياة الطبية، بيروت،ع١٠، س٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص١٤.
٨٠- تعريف ونقد التحقيق، القصيدة المذهّبة في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للسيد الحميري، مجمع اللغة العربية دمشق، ج٢٢،مج٤٧، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨١- التعليم الشرطي بين الرضي وبافلوف. رسالة الإسلام، بغداد، ع٦٠٥، س٥، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨٢- التقليد: دراسة فقهية لظاهرة التقليد الشرعي، المنهاج، بيروت، ع١١،س١٤١٩،٣هـ - ١٩٩٨م، ع١٢، س١٤١٩،٣هـ- ١٩٩١م، ص٨٧.
٨٣- تنقل الألفاظ - اللسان العربي، الرباط،، ج١، مج١٣٩٢،١٠هـ- ١٩٧٣م.
٨٤- الحاكم الإسلامي بعد زمن المعصوم، رسالة الإسلام،بغداد، ع١- ٤، س٢، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
٨٥- حول تجديد علم الكلام - قضايا

إسلامية معاصرة، ع١٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٦- حول قضية انحراف البحث النقدي، الإيمان،النجف ع ١-٢، س٣، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ص١٠.

٨٧- حول المؤلفات الفقهية،بحث نقدي، الإيمان، ع٥- ٦، س١٣٨٣،١هـ - ١٩٦٣م، ص١١.

٨٨- دراسة دلاليّة لكلمة (إرهاب)، الكلمة، ع٢٨،س٧، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص١٢.

٨٩- الدمستاني من أعلام الخليج، المنهج، مطبعة النعمان،بيروت- النجف الاشرف،ص٢٢.

٩٠- دور الإمام الصدر في التصوير الفقهي وتحديد المشكلة الاقتصادية.. الفكر الجديد،ع ١٣ - ١٤، س٤، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٩١- دور الامام علي (عليه السَّلام) في ارساء الحضارة الإسلامية،الثقافة الإسلامية،دمشق، ع٨٧، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص١٠.

٩٢- الرأي الفقهيّ في السلام مع إسرائيل، رسالة التقريب، ع١٥، س٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٣- الرأي الفقهيّ في حلق اللحية - المنهاج، بيروت، س٦، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص١٦.

٩٤- الربا: دراسة فقهية قانونية تاريخية مقارنة، قضايا إسلاميّة معاصرة،ع٩-١٠، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٩٥- الربذة، منفى أبي ذر، الموسم،دمشق، ع ٨، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٩٦- الرقابة الاجتماعية في الإسلام، رسالة الإسلام، بغداد، ع ٣-٤،س٥، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م، ص٢٠.

٩٧- الشيخ الطوسي مؤسس الحركة العلمية في النجف الأشرف، النجف النجف الأشرف،ع٢، س٥، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م، ص١٠.

٩٨- ضرورة الحكم الإسلامي بعد زمن المعصوم، رسالة الإسلام، بغداد ع ٥ -٦، س٢، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م،ص١٠.

٩٩- عبر تطورات الدعوة، الإيمان، النجف، ع٣-٤، س١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

١٠٠- عبرة من الذكرى. الإيمان، النجف،

ع ٣- ١٣٨٣،٤هـ - ١٩٦٣م.

١٠١- علم الأصوات الحيوانية عند العرب، اللسان العربي، الرباط، ج١، مج١٣٩٢،١٠هـ- ١٩٧٣م.

١٠٢- غدير خم، المنهاج، بيروت، ع٢٥، س٧، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

١٠٣- الغزو الثقافي المعاصر وموقفنا منه، المنهاج،بيروت ع ٢٠،س٥، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ص١٢.

١٠٤- في ظلال الإيمان، الإيمان، النجف، ع ١ -٢، س١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

١٠٥- قراءة في (كتاب دراسات في سكان العالم الإسلامي)، صحيفة المدينة المنوّرة، ع٨١، ع٧، ٢٩ صفر ١٤٠٨هـ، ٢٢ أكتوبر١٩٨٧م، ص١٣.

١٠٦- قراءة في كتاب أئمة النحاة في التاريخ نقد، نشرة اخبار الجامعة جدّة، ع٣، س٣، ١٣٩٨هـ.

١٠٧- قراءة في كتاب التوحيد، تراثنا، قم،ع ٢٧، س٧، ١٤١٢هـ، ص٤٥.

١٠٨- قراءة في كتاب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية، ع ٤، س١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م،ص١٤.

١٠٩- القضاء الجعفري: المفهوم والمنطلقات، الواحة،ع ٢٠)، ٤٢٢ ١هـ - ٢٠٠١م،، ص١٦.

١١٠- قضية المهدي: المنهج والفكرة، الكميت والأحساء، ع١٣، ١٤١٨هـ، ص١٣.

١١١- المال: دراسة فقهية مقارنة، المنهاج، بيروت، ع ٢، س١، ١٤٧٧هـ - ١٩٩٦م.

١١٢- المبدأ الأول في الفكر اليوناني قبل سقراط، النجف، النجف، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص٢٠.

١١٣- مشكلات الوقف الإسلامي وسبل تنميته: الأحساء نموذجا، الكلمة، ع ١٣٤، س ١٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص١٤.

١١٤- مصطلحان أساسيان، الإيمان، النجف (، ع ٩- ١٠، س١، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ص٢٩.

١١٥- المضاربة ودورها في تداول وتوزيع الثروة، النجف، ع٧، س٥، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

١١٦- مفهوم الاستقلال السياسي، الكلم،

ع٥١، س١٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص١٠.

١١٧- مقدمة علم أصول الفقه: قراءة نقدية في ضوء المنهج العلمي الحديث رسالة الثقلين، قم،ع١١، س٣، ١٤١٤هـ، ص١١.

١١٨- من مصادر الفكر الإمامي في العقيدة والتشريع، المنهاج،ع ٤٨، ١٤٢٤، ص٣٢.

١١٩- منهج دراسة النصّ عند الأصوليين ودور السيِّد محمد تقي الحكيم في تطويره، التراث، ع١٣ مس١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٢٤.

١٢٠- الموقف في ظل الدولة الشرعية والمرجعية القائدة، الفكر الجديد ع ٢٣، س١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص١٠.

١٢١- المؤلفات الإحسائية منذ بدء التأليف إلى سنة ١٤١١هـ، الموسم، دمشق،ع٩- ١٠، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٩٠.

١٢٢- ميقات الجحفة، مجلة ميقات الحجّ،قم، ع٦، ١٤١٦هـ، ص٣٠

١٢٣- ميقات السيل الكبير - قرن المنازل، مجلة ميقات الحجّ، قم، ع٥، س٢، ١٤١٧هـ، ص١٧.

١٢٤- ميقات يلملم، الموسم، دمشق، ع ٥، مج٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٢٤.

١٢٥- نحن والغدير، البذرة، النجف، ع٤، س١، ١٣٨٦هـ ٤٤.

١٢٦- النص الشرعي: مفهومه وفهمه، الكلمة، ع٢٣، س٦، ١٤٢٠م - ١٩٩٠م،ص ١٧.

١٢٧- نقد و تعريف حول دراسة بعنوان: (الوضع، تحديده، تقسيماته، مصادر العلم به)، للسيّد محمد تقي الحكيم، النجف، النجف، ع ١، س١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص١٤.

١٢٨- وجود الإمام، النجف، النجف، ع ١، س ١، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥) ص١٤.

١٢٩- ولاية المرأة في الإسلام، المنهاج، بيروت،ع ٣٩، س١٠، ١٤٢٦هـ

النصوص المُحقَّقة:

١٣٠- إتحاف الإنس في العَلَمين واسم الجنس،لشمس الدين محمد الأمير الأزهري (ت١٢٣٢هـ)، صحيفة المدينة الدين المنوَّرة،ع ٤٨٠٧، ٢٩ صفر ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٣١- اتحاف الرّفاق ببيان أقسام الاشتقاق، محمد الجوهري (ت ١٢١٥هـ)، صحيفة المدينة المنوَّرة (السعودية)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٣٢- البصروية في علم العربية، الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن البصروي (ت٨٧١ هـ)، اللسان العربي، الرباط، ج ١، مج ١٥، ١٩٧٧م، ص٢٤ - ٣٠.

١٣٣- درة القارئ منظومة في ظاءات القرآن الكريم - للرسعني عبد الرزاق الحافظ (ت ٦٦١هـ)، مجمع اللغة العربية الأردني،عمان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص١٦.

١٣٤- رسالة في إعراب سورة الفاتحة، عمر بن عثمان الجَنْزِي النحوي(ت ٥٤٥هـ)، ص٦. صحيفة المدينة . العدد ٤٩٢١، رجب،١٤٠٠هـ

١٣٥- زلة القارئ نجم الدين عمر بن محمد النسفي (ت٥٣٧هـ).

١٣٦- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة لابن أم قاسم المرادي الحسن بن القاسم (ت٧٤٩ هـ - ١٣٤٨م)، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص٨٧.

١٣٧- طريق استنباط الأحكام - للكركي نور الدين علي بن عبد الحسين بن عبد العاملي (ت٩٤٠هـ)، طبع بمطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٩٧١م، ص٢٤.

١٣٨- الناسخ والمنسوخ، لابن العتائقي كمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي (ت نحو ٧٩٧هـ)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص ٨٥.

١٣٩- الناسخ والمنسوخ، لابن العتائقي كمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي (ت نحو ٧٩٧هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٤٠- هداية الناسكين من الحجّاج والمعتمرين، الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٤٣.

١٤١- رسائل في النحو واللغة والفقه،

العلّامة عبد الهادي الفضلي، ط١، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

المصادر:

١- تتمة الأعلام - محمد خير رمضان يوسف، ٦/ ٤٨ – ٤٩.

٢- جود اليراع،فهرست تراث العلامة الفضلي، إعداد. جواد عبد الهادي الفضلي.

٣- ذخائر التراث العربي الإسلامي، عبد الجبار عبد الرحمن، ص ١٨٧، ٣٧٩، ٧٨١، ٨٢١.

٤- فهرس الرسائل الجامعية، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٦٥ –١٩٧٥، جلال محمود الدباغ ص ١٥٥ – ١٥٦.

٥- فهرست المطبوعات العراقية ١٨٥٦ - ١٩٧٢ - عبد الجبار عبد الرحمن.

٦- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، محمد عيسى صالحية، ١، ١٧٨، ٥/ ٦٥.

٧- معجم المؤلفين والكتاب العراقيين ١٩٧٠ ٢٠٠٠، صباح نوري المرزوك، ج٥ / ص٢٠٤ – ٢٠٥.

جلال الذِّكرى
في تأبين العلاقة
الشيخ عبد الهادي الفضلي

السيِّد سلمان هادي مهدي آل طعمة / كربلاء 2013م

كمْ في الورى للدِّين خيرُ معضِّدٍ ... ما ماتَ مَنْ منحَ الفضائلَ زينةً

يمشي على نهج النبيِّ محمّدِ ؟ ... و مبلغاً نحو الطريقِ الأسعدِ

يا أيُّها القرمُ الذي غنمَ النُهى ... حاز المفاخرَ والمكارمَ والعُلى

ورعى العلومَ بذكرهِ المُتجدِّدِ ... يكفيهِ زهدُ القائمِ المتهجِّدِ

وأمدَّنا بمعارفٍ و مكارمٍ ... لا غروَ أنْ تبكي عليهِ أمَّةٌ

حتَّى بها جيْدَ العُلا والسؤددِ ... حرَّى كنارٍ في القلوبِ وأكبدِ

إنِّي عَهَدْتُ به مناراً مشرقاً ... آثارهُ سُرُجٌ تضيُء نجومُها

بين الورى في ظلِّ حكمٍ مُسعدِ ... تهدي الأنامَ بنورِها المتوقِّدِ

ضاءَتْ به الآفاقُ طُولَ حياتِهِ ... قد شاد مجداً لا يزعزعُ ركنُهُ

كالرَّوضِ يزهو بالسنى المُتوقِّدِ ... يدنو إليه الدَّهرُ رغمَ الحسَّدِ

عَظُمَ المصابُ لفقد خيرِ مُعلِّمٍ ... كيف انطوى الطودُ الأشمُّ ولم يكن

يسمو بفخرٍ فَوقَ هامِ الفرقدِ ... في السَّابقاتِ سواهُ من مُتجدِّدِ؟

ما زالت الأيَّام تطري شخصَهُ ... وبيانُهُ السَّامي كمرآةِ الحجى

يا مدركاً شأوَ الشَّريفِ المحتدِ ... ماذا نقولُ عن الأمامِ الأوحدِ؟

وحديثُهُ الميمونُ سارَ عبيرُهُ ... أعظمْ بهِ رجلاً تأثَّل مجدُهُ

وبكلِّ نادٍ فضلُهُ لم يجحدِ ... كمْ نالَ من شرفٍ وطيدِ المحتَدِ؟

يا أيُّها الشهمُ الكريمُ المقتدَى ... أنْ لا تعيشَ مع الزَّمانِ الأنكدِ

ما الفخرُ إلَّا للعليمِ الأمجدِ ... إنْ عُدَّت العبَّادُ كنتَ أباً لهم

حقاً إذا جزعَتْ نفوسٌ بعدَهُ ... كالبدرِ يشرق في السَّماء الأبعدِ

وبكتْهُ أعينُها بجَفْنٍ مسهدِ ... يا كوكبَ العلمِ المضئُ تحيةً

أسَفاً تمرُّ الذكرياتُ عزيزةً ... تذكو بغيضِ محبتي و تودّدي

أيَّامَ كنتَ معي نروحُ ونغتدي ... لا لم يمتْ مَنْ كان حلَّى نفسَهُ

ومن العواطفِ قد طبعتَ بخاطري ... بعقيدةٍ وفضيلةِ المتهجِّدِ

مُثُلاً أظلُّ بهنَّ دوماً أقتدي ... يا غائباً رزءٌ ألمَّ بمهجتي

وستذكرُ الأيَّامُ فضلَكَ في الورى ... والعينُ أقرحَ جفنها بتسهدي

إذ كنتَ في الإحسانِ أسدى من يدِ ... سيظلُّ مجدكُ شامخاً متألِّقا

أأبا معادٍ أنتَ خيرُ محدِّثٍ ... يزهو بخيرٍ رَغم كيدِ المعتدي

يروي بأطنابٍ لكلِّ مُجدِّدِ ... ومجاهداً في الله حقَّ جهادهِ

أ أبا معادٍ إنْ قضيتَ فإنَّما ... يا مفخراً بصلاحهِ يذكو الندي

أفعالُك الحسنَى نشيدُ المُنْشدِ ... أبكيكَ للخُلُق الرَّفيع وللتقَى

أأبا معادٍ تلك حكمةُ خالقٍ ... للخيرِ تهدفُ للعطاءِ المزبدِ

إنِّي عهدتُكَ راعياً لفضيلةٍ وعلمتُ أنَّ الدِّينَ دينُ تجدِّدِ

فغداً يفاخرُ فيكَ أهلُ المسجدِ ماذا جنيتُ من الحياةِ ولهوها

و عرفتُ فيك تنيرُ عالمَنا سنىً غيرَ الصلاحِ تذودُ عنهُ بمقودِ

تهدي النفوسَ إلى شريعةِ أحمدِ إناٌّ فقدنا فيكَ عضواً نافعاً

وشغلتَ نفسَكَ بالدِّيانةِ جاهداً متجلبباً بتخشّعٍ وتعبُّدِ

الملحق الصوري

القلم الذي يظهر في الصورة عمره أكثر من خمسين عامًا،
وهو ذات القلم الذي كَتَبَ به العلامة الفضلي (رض) جميع مؤلفاته.

في الديوانية عام ١٣٨٧هـ

في تبريز مع الشيخ الآصفي

في فلسطين مع الشيخ الآصفي والسيد عبد الكريم القزويني

في منزله بالدمام

Head lighting

" Siaraa "السِّيرَاءَ" أو "with the breaking of the sin and the opening of the yaa and the madd (in the language of the early Arabs) is a type of clothing with silk or pure gold, or the adhesive shell mixed with the nucleus or a palm leaf, therefore our respected magazine collected all these meanings and was branded with it, surely It is garment embroidered with gold for what it contains of documents from the biography of the Arabic language figures and records it from their scientific traces, such pure biography is to serve our eternal language, the language of the Noble Qur'an.

It is also a tall palm tree whose shelter seekers of knowledge reap when they reap its lowly fruits and harvest its lofty secrets.

Publication Name	Siaraa Journal

Published by (Issuing authority)

House of Arabic Language and Literature

Publication year	2024
Edition:	first

The Press

Dar Al-Warith Press for Printing and Publishing
Iraq - Karbala

Issue	11
Number of copies	500 copies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein

House of Arabic Language and Literature

Deposit number in the Iraqi House of Books and Documents :2015 , 2107

To communicate

Website: www.alh.imamhussain.org

E-mail: siaraa@imamhussain.org

+9647721458001 - +9647827236864